عَوَارِضُ التَّرْكِيبِ فِي سُورَةِ الْمُلْكِ
دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ

د. أسماء عبد الرؤوف جعفر إبراهيم
كلية الآداب / جامعة طنطا
جمهورية مصر العربية

Symptoms of structure in Surat Al-Mulk
A semantic linguistic study

Dr. Asma Abdul Raouf Ibrahim Jaafar
Faculty of Arts / Tanta University
Arab Republic of Egypt

مقدمة البحث، وخطته:

تتسم لغة القرآن الكريم بأنّها لغة مشحونة، وفيها ما ليس في غيرها من الإمكانات والطاقات التعبيرية، وتتضمن من وسائل السبك، وألوان الحبك الكثير، كما أنّها تتمتع بروابط لفظية، وبِنًى صرفية تتناغم غالبا مع المعنى الذي سيقت له، والدلالة التي رمت إليها، كما تتصف بالصور الكلية ذات الصور الجزئية التي تشتمل على اللون والصوت والحركة، وفيها من التعبيرات التي صارت أمثالا كان العرب لا يعرفونها، وفيها ألفاظ جديدة وكثيرة، فاللغة القرآنية لها فضل غير منكور على لغة العرب لفظا وتصويرا وأساليب وتعبيرات، وتشبيها واستعارات ومجازات، أضافت الكثير إلى اللغة العربية، وهو واضح ومشاهد، وكتبت حولها كثير من المصادر، والمراجع.

ولما كان الأمر كذلك فقد أحببتُ أن أبيِّنَ بصورة تطبيقية؛ تماشيًا مع متطلبات الدراسات اللغوية الحديثة التي تتَّسم بالتطبيق العملي، وتتخذ من الدراسات اللسانية أساسًا لها، وتنطلق من مقتضياتِ الدرسِ اللسانيِّ، ولما كان الأمر كذلك فقد اتخذتُ من سورة تبارك نموذجًا أستجلي به طبيعةَ اللغة القرآنية، وإبرازَ أهمِّ سماتها اللغوية، وما تتمتَّع به تراكيبُها، وأساليبُها من العطاء الكبير، والمذخور الأصيل، وما ترتبط فيها القاعدةُ النحويةُ، والتشكيلاتُ الصوتيةُ، والبِنَى الصرفيةُ مع الدلالة القرآنية، والمقاصد التي ترمِي إليها أهدافُ السورة بعامة، وما تتضمَّنه من معانٍ، وقيمٍ، واعتقادٍ سليمٍ، وغيرها من الغايات القرآنية، وكان السببُ وراءَ اختياري يكمن في جملة من الأهداف، منها الآتي:

أسباب اختيار السورة للبحث، والدراسة:

أنّها من السور التي تتكرَّر على ألسنة القُرَّاء، التي وردت فيها أحاديث نبويةٌ صحيحةٌ، تصفها بأنّها مانعةٌ من العذاب المحتوم في القبر، وأنّ من أسمائها المانعةَ.

أنها ذُكِرَتْ عند ابن مسعود - رضي الله عنه- فقال: (سورةُ المُلْكِ مَنْ قرَأَها في كلِّ

ليلةٍ، فقد أكثَرَ وأطابَ، وهي المانِعةُ؛ تَمنَعُ من عَذابِ القَبرِ؛ إذا أُتِيَ من قِبَلِ رأسِه، قال له رأسُه: "قِبَلَكَ عنِّي"؛ فقدْ كان يَقرَأُ بي، وفيَّ سورةُ المُلْكِ، وإذا أُتِيَ من قِبَلِ بَطْنِه، قال له بَطنُه: "قِبَلَكَ عنِّي"؛ فقد كان وَعَى فيَّ سورةَ المُلكِ، وإذا أُتِيَ من قِبَلِ رِجْلَيه، قالت له رِجْلاه: "قِبَلَكَ عنِّي"، فقد كان يَقومُ بي بسورةِ المُلكِ)[1].

أنّ سورة الملك سورة تَشْفَعُ لصاحبها، وهي سببٌ لدخول الجنّة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إنّ سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آيةً، شفعت لرجل فأخرجته من النار، وأدخلته الجنة)[2].

أنّ الرسول- صلى الله عليه، وسلم- ورد عنه محافظته -صلى الله عليه وسلم- على قراءتها، فقد جاء عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: (أنّ النبي- صلى الله عليه وسلم- كان لا ينام حتى يقرأ (الم تنزيلُ) و(تبارك الذي بيده الملك)[3].

أنّها من السور القرآنية التي يُسَنّ قراءتها كلَّ ليلة، وفيها العديدُ من العبر والدروس التي لها أثر طيِّبٌ في حياةِ المسلم.

أنّها قد تضمَّنَتْ كثيرًا من عوارضِ التركيب، كالحذف، والتقديم والتأخير، والزيادة، والحمل على المعنى، وغيرها من العوارض التي أدَّتْ دلالاتٍ كبيرةً، وأفادتْ إفاداتٍ غزيرةً.

أنّها من السور المكية التي لها سماتُها العقديةُ، واللغوية، حيث تكون الآياتُ فيها غالبا قصيرةً، وتتعدَّد فيها أدواتُ التوكيد، وحروفُ الزيادة (عند من يقول بها)،

(١) رواه شعيب الأرناؤوط، في تخريج سير أعلام النبلاء، عن عبد الله بن مسعود، الصفحة أو الرقم:١٦٧، إسناده حسن.

(٢) رواه الألباني، في صحيح الجامع، عن أبي هريرة، الصفحة أو الرقم:٢٠٩٢، وقال: حديث حسن، وانظر الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي (الطبعة ٢)، (١٩٦٤)- القاهرة: دار الكتب المصرية، صفحة ٢٠٥، ١٨. بتصرّف، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٩/ ٦-١٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٢٢٠، وما بعدها.

(٣) رواه ابن حجر العسقلاني، في تخريج مشكاة المصابيح، عن جابر بن عبد الله، الصفحة، أو الرقم:٣٨٠، وقال: حديث صحيح، وانظر تفسير القرآن الكريم لمحمد المقدم، صفحة ٢. بتصرّف.

ويكثر فيها القَسَمُ، وتجد فيها كثيرا نونَ التوكيد الثقيلة، وفيها كثيرٌ من الأساليب اللغوية تتوالى، وتتشكَّل فيها البِنَى الصوتية؛ لتؤدي معنًى أساسيًّا في تراكيب السورة الكريمة، كما تتتابعُ فيها أشباهُ الجمل، وتكثر فيها تلك الروابطُ اللفظية، وتَتَّسم آياتُها بالترابط اللفظي، والتماسك المعنوي، أو ما يعرف بالسبك والحبك، وتتناغم تلك الروابطُ مع ما سِيقَتْ له من معانٍ، ودلالاتٍ تَتَحَلَّى بها أهداف السور المكية، وتَتَجلَّى فيها قضايا الاعتقاد السليم، وتبحث غالبًا في أركان الإيمان، ومظاهر القدرة الإلهية، وقضية الجزاء، والثواب، والعقاب، وتتكلم عن منازل الآخرة، وتخاطبُ العقلَ، وتنمِّي جذور العقيدة الصحيحة في القلوب، وتعرض مآلاتِ المؤمنين، ونهاياتِ المشركين، والصادين عن سبيل الله، وتردُ فيها التقابلاتُ المعنوية، والمضادات اللفظية، وتشكِّلان معًا صُوَرًا كلية للمقاصد القرآنية، والغايات الربانية، وكلِّ متطلبات التربية الإيمانية.

أنني لم أجد من تناولها من الناحية اللغوي، ولا درس فيها عوارض التركيب، واستجلى دلالاتها، ولا بحث فيها الروابط اللفظية (السبك)، ولا أوقفنا فيها على الروابط المعنوية (الحبك)، ولا أوقفنا فيها على إسهام حروف المعاني في ترابط آياتها، وبيان أوجه الإعجاز فيها، نحويًّا وصرفيًّا ولغويًّا ومعجميًّا، فالسورة لا تزال بكرا، وفيها من الأعمال اللغويةَ الكثيرُ، فأردتُ أن ألفت الأنظار إليها بدراستي هذه ، وإعادة الدرس اللساني فيها، واستجلاء مخزونها الدلالي من الوجهة النحوية، والصرفية، واللغوية، والمعجمية.

أهم أهداف سورة الملك:

تتمحور أهدافُ تلك السورة الكريمة حول الآتي:

١- ضرورة الوقوف على معاني صفات الله، ودوال أسمائه، والتوقُّف أمام معطياتها للسير على هُدًى، ونورٍ في علاقة المؤمن بربه، وصلته بدينه، وأنها تربِّي فيه الضمير اليقظ، والرقابة المستمرة، في كل تعاملاته، وفي أخذه، وعطائه.

٢- وجوب محاسبة النفس، ومراجعتها بصورة مستمرة؛ وذلك لأنّ الله تعالى عليمٌ بما يُسِرُّ به العبدُ، وما يجهر به، وهو سبحانه السميع البصير بكلّ ما يحدثُ، وعلى المؤمن أن يدركَ أن الله مطلعٌ على كل أعماله، وأنه رقيبٌ، حسيبٌ، وأن ملائكته تستنسخ كلَّ أعمال العباد، التي سيلقاها العبدُ في صُحُفٍ طويلة، سَجَّلَتْ أنفاسه، ورصدتْ إحساسه، وكلَّ ما قام به على الأرض في الدنيا، حتى لا يُنكِر ما اقترفَتْ يداه.

٣- ضرورة شكر الله تعالى على نِعَمه، وآلائه، فهو سبحانه المُعطي، الوهاب، والمتفضل التوَّاب، وهو مالكُ كلّ شيء، وأنّ نِعَمَه لا تُعدُّ، ولا تُحْصَى، وأنّ الشكر يُديم هذه النِّعم، ويجعلها متواصلة، مستمرة: "لئن شكرتم لأزيدنكم".

٤- وجوب التفكّر في خلق الله تعالى وفي السماوات، والأرض، وفي النفس، والنظر المتكرِّر فيما أعَدَّ الله فيها من المخلوقات، والنجوم، والكواكب، والحيوانات، فهذا من شأنه أن يزيدَ المؤمن خشية لله جل جلاله ، ويملأ قلبَه، وروحه تعظيمًا له، وتوقيرا لعظمته، وصحةً، وسلامةً في السلوك.

٥- التفكير في عاقبة كلِّ سلوك، واستحضار سؤالِ الله للعبد يوم القيامة، والسعي إلى التنافس في عمل الصالحات، والإكثار من الطاعات، والقراءة في مآلات المؤمنين، وعواقب الخاسرين الكافرين[1].

خطة البحث:

يتكون من مقدمة تُعَدُّ مدخلا للبحث، وتتضمن أهمَّ أسباب اختياره، وأهداف سورة الملك، وأهم ما سيقتْ له من مقاصدَ، وقيم، ثم تحليل مفصَّل لآياته، واستنباط عوارض التركيب متتابعة في كل آية، وفق ورودها في السورة الكريمة، والتوقُّف أمام معطياتِها، ودلالاتِها بكل أنواعها: الإيمانية، والعقدية، والفقهية،

(١) راجع في ذلك تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، ٢٩/ ٧-١٠، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ١٥٠٠-١٥٠١، والأساس في التفسير، ١٠/ ٦٠٢٢-٦٠٢٤.

والإرشادية، وغيرها من دلالات العوارض، ومعانيها، وأهم ما تُمليه من فوائدَ، وعظاتٍ، ونصائحَ، وإرشاداتٍ.

ثم أهم النتائج التي أسفر عنها البحث، وبعض التوصيات والاقتراحات التي بدت للباحثة، وذكر أهم المصادر والمراجع التي عادت إليها الباحثة، وفهرس بالموضوعات.

المنهج المتبع في الدراسة اللغوية التحليلية:

اتبعتُ المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ الاستقصائي لكل آية؛ حيث حللت العوارض التركيبية كاملة في كلٍّ منها، حسب ورودها في الآيات متتابعةً، مظهرةً ترابطَها وتآزرَها، لإيضاحِ الصورة الكلية لأهداف السورة الكريمة، وأبرز ما رَمَتْ إليه من غايات، وما سَعَتْ له من حِكَمٍ، وأهدافٍ.

التحليل اللغوي لآيات السورة الجليلة:

تقدمة السورة، والتحليل:

عوارض التركيب هو علمٌ من أساسيات الدراسات اللغوية المعاصرة، ومما أفرزه الواقعُ البَحْثِيُّ اللسانيُّ الحديثُ، وعوارضُ التركيب تعني أن يأتيَ التركيبُ على غيرِ وفاقِ القاعدة، ويخالفُ مُقْتَضَى الظاهرِ منها، ويَرِدُ على خلاف ما وضعه النحاةُ من قواعدَ نحويةٍ، كأنْ يقدِّم الكاتب في نصه ما حقُّه التأخير، ويؤخِّر ما حقه التقديم، ويحذف ما وُضِعَ في الأصل للذكر، ويفصل بين الركنين الأساسيين، أو الأركان الأساسية للتراكيب، أو يحمل كلماتٍ على معانِي كلماتٍ أخرى، ويعطيها وظيفتها، وعملها النحوي، أو زيادة ما حقُّه الحذفُ، وحذفُ ما حقُّه الذكر، وغيرها مما هو معلوم في مجال عوارض التركيب، وما وراء ذلك من دلالاتٍ، ومعانٍ، وأغراضٍ، وأهدافٍ، سواء في النصوص القرآنية، أو الحديثية، أو النصوص اللغوية من: شعر ونثر ورد عن العرب في المجالين: الشعر ودواوينه، وكتب النثر وفنونه على اختلافها

في أغراضها وأنواعها.

ونأخذ هنا سورةَ المُلْكِ نَمُوذَجًا لبيان دلالات تلك العواض التي حدثت في تلك التراكيب القرآنية، ومراد الكتاب العزيز من إيراد تلك الظواهر التي خالفتْ مقتضى الظاهر، وجاءتْ على خلاف القاعدة، ومخالفة الضوابط والقواعد النحوية.

آيات السورة الكريمة كاملةً:

يقول الله – تعالى ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٨ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ۝١٩ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ

لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَاۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

صدق الله العظيم.

عوارض التركيب في الآية الأولى ودلالاتها:

" تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ".

الجملة فعلية، وقد ورد فيها عددٌ من العوارض ذاتِ دلالاتٍ كثيرة.

بدأتِ الآية بعارض الحذف في قوله- تعالى-:" تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ "، حيث حُذِفَ الموصوف، ونابتْ عنه الصفة في قوله تعالى: "تبارك الذي..."، أيْ تبارك الله الذي...، وقد حُذِفَ الاسم الكريم: "الله" للعلم به، واليقينِ بأنّ الله وحده هو الذي بيده ملك السموات والأرض، ولا يحتاج المؤمنُ القارئُ أن يقال له مَنْ بيده الملك؟، وبأقلِّ نظرٍ في الآية يتعرف على المحذوف، وهو لا ينساه، بل يتغلغل في روحه، ويثبت في ضميره، ووعيه أنّ الله وحده هو الذي بيده هذا الملكوتُ كلُّه، ثم يأتي عارض التقديم في قوله سبحانه : (بيده الملك)، حيث قُدِّمَ الخبر على المبتدأ، وقد قُدِمَ الخبر لبيان أنّ الله وحده بيده، وبقدرته هذا الملك، وهو صاحبُه، وقادرٌ على

استمراره، أو تدميره، وهو كناية عن التملك والإحاطة، فاليد هي السبب في فعل كل شيء، والتحكم فيه[1]، ففي التقديم تخصيص، وتوضيح مباشر بأنّ الملك كله لا يكون إلّا بيد الله، والتعبير باليد كناية عن القوة، والقدرة، والتمكُّن، أو هو مجازٌ مرسلٌ علاقته السببية، أو علاقته الجزئية، فإنّ الملك لله ، وهو جزء مما لله سبحانه في هذا الكون، يمكن بكلمة أن يبقيه، وبكلمة واحدة أن يذهبَه، ويمضيه، فهو رُهَيْن مشيئة الله، وطُوَيْع يديه- جل جلاله-.

ويمكن أن يتعلق شبه الجملة: (بيده) بمحذوف هو الخبر المقدم، أي يكون المعنى أنّ الملك مستقِرٌّ بيده، وثابتٌ، وهو تحت أمر الله، ومشيئتِه، فيكون من قبيل عارض الحذف، والتقديم في الوقت نفسه، حيث يتعاور على اللفظان عارضان، لا عارض واحد.

وفي قوله تعالى : "وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ"، هنا عارض تقديم، وهو شبه الجملة: (على كل شيء)، فقد تقدَّم هذا الشبه على عامله: (قدير)؛ إذ الأصل: "وهو قديرٌ على كل شيء"، ولكنْ تقدَّم الشبه؛ ليبين قدرتَه المحيطة، واقتدارَه التامَّ الشامل لكل شيء، وحرف الجر: (على) يفيد التمكن، والإحاطة، والهيمنة الكاملة، فـ(على) للاستعلاء والتمكن، والشمول.

فهو هنا من قبيل عارض التقديم، وتنكير "شيء" يرشِّح ملكه الكامل على جميع ما في الكون من الذرة، وما دونها حتى المِجَرَّة، وما فوقها، فهو "قدير"، وهي صفة مشبهة تبيِّن أنّ قدرته شاملةٌ، وتامةٌ، ومستمرة في كلِّ وقت وحين، وكل زمان ومكان، لا تنفك عنه، وهي حق خالص سرمدي لله وحده.

كما أن لفظة:(قدير) هذه المُنكَّرة تعني كمال القدرة، وشمولها بكل ألوانها، وأطيافها،

(١) البحر المحيط ، ١٠ / ٢٢٠-٢٢١، وإعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش ، ١٠/ ١٤٦، والكشاف للزمخشري ، ٢٩/ ١١٢٤.

وأنواعها، وأصنافها، وأنّه لا حدودَ لها[1].

عوارض التركيب في الآية الثانية ودلالاتها:

في قوله تعالى :"الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ "، هنا عارض حذف كذلك، فالمفهوم:"الله الذي خلق الموت"، والله الذي خلق الحياة، فقد تكون الواو هنا لعطف المفردات وقد تكون لعطف الجمل، وقد يعرب الموصول صفة لاسم الموصول المتقدم(الذي بيده...)، وقد يكون خبرا لمبتدأ محذوف هو اسم الجلالة المحذوف الذي نابت عنه صفته بالدلالة التي قدمتها من قبلُ، وكل تلك الحذوف تعني قضية عقدية كبيرة تنسكب في قلب ، ووعي، وحس، وروح كلّ مؤمن بالله الكريم، وكتابه الجليل، ذلك المؤمن الذي لا ينتظر في كل لحظة أن تذكر له من له حق الملك، وحق خلق الحياة، وخلق الموت؛ لأنّه في اعتقاده أنّه خلق كل شيء: كونا وموتا وحياة وكل ما يتعلق بالكون إنسانا وحيوانا وجمادا وغازا وغيرها من الكائنات الموجودة في الكون، وفي التضاد بين الموت والحياة ما يفهم منه خلق الشيء وضده، وهو أمر لا يكون إلّا لله ، فيخلق السعة والضيق، والدنيا والآخرة، والحياة والموت، والعز والذل، والليل والنهار، والشمس والقمر، والخير والشر، فهذا أمر لا يكون إلّا له، ولا يملكه أحد من البشر مهما كانت قدرته، وعلمه، وفهمه[2].

وفي قوله تعالى :"لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"، هنا عرض بالحذف في قوله: "أيكم أحسن عملا"؛ حيث إنّ (أي) هنا موصولة، وهي اسم مبني على الضم في محل نصب مفعولا به ثانيا للفعل(يبلو)؛ لكونه يتعدى إلى مفعولين، أي ليختبركم أيّكم الأحسنَ في العمل، و(أي) لتكون اسما موصولا لها شرطان، أن تضاف (أيّكم)، وأن يحذف صدر صلتها أي المبتدأ والموجود هو الخبر(أحسنُ)، والتقدير ليبلوكم أيكم هو أحسن عملا، فقد تم الشرطان، ويمكن أن تكون (أيّ) استفهامية

(١) راجع الكشاف للزمخشري ، ٢٩/ ١١٢٤، والبحر المحيط لأبي حيان١٠/ ٢٢٠، وما بعدها ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٢١/ ١٠٩.

(٢) إعراب القرآن للدرويش ، ١٠/ ١٤٦-١٤٧ ،والكشاف للزمخشري ، ٢٩/ ١١٢٤-١١٢٥.

مبتدأ معرب مرفوع لا مبني، وخبره (أحسن) ممنوع من الصرف؛ للوصفية ووزن الفعل، وتكون جملة : (أيكم أحسن عملا) هي المفعول الثاني في محل نصب، ولا يكون هناك عارض للحذف، والتوجيهان واردان في كتب إعراب القرآن الكريم[1].

وقد حذف الصدر، وبقي العجز، أو الخبر دليلا عليه، فلفظ : "أحسن" مفرد، ومبتدؤه(هو) المحذوف مفرد أيضًا، فتمَّ التطابق بين الركنين، كما نقول محمد مجتهدٌ، وهُوَ فقيهٌ في العربية وعلومها، و "زيدٌ حكيم، وهو رجل مهذب مع الناس".

وفي قوله تعالى :"وهو العزيز الغفور" عارض بالحذف ، والتقدير وهو الله العزيز الغفور؛ فهما صفتان مشبهتان لله سبحانه ، وإذا عددناهما اسمين فلا عارض للحذف، لكن كلمة:(الغفور) حدث لمعمولها حذفٌ، أي الغفورُ ذنوبَ وخطايا عبادِهِ، فالمفعول محذوف للعلم به، ولعدم الاختلاف في تقديره.

عوارض التركيب في الآية الثالثة ودلالاتها:

في قوله عز وجل :" الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا " عارض بالحذف في موصوف اسم الموصول، أي الله الذي خلق سبع سموات، ومعلوم سلفًا دلالة الحذف، وأنّها معروفة لكلِّ تالٍ للكتاب العزيز، ومعتقدٍ في كمال صفات الله: ألوهيةً، وربوبيةً.

وفي قوله :"ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" عارض بالزيادة لحرف الجر(من)، والتقدير: "ما ترى في خلق الرحمن تفاوتا"، ولكنْ زِيدَتْ- على الرأي البصري هنا؛ لاستيعاب أيِّ تفاوتٍ: دقَّ أم عَظُمَ في نظر الناظرين، ولتجعلَ الصفة الربانية تامةً بكمالِ معناها، وتمامِ مبناها، وكاملِ الاعتقاد في خلق الله، وأنّه البديعُ جل جلاله في صُنْعِه، والجليلُ في خلقه، وأنّه لا يمكن لبشر أن يستدركَ على الله، ولا أن يجدَ في صُنْعه أيَّ خلل، معاذ الله!، مهما بذل من جهد في النظر، واجتهاد في العقل، وهو كذلك كناية عن عظمة الخلق، وكمال الصنعة، ودقة العمل، وإنّ شرطَيْ زيادةِ:"مِنْ" (عند

(١) راجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ٥/ ١٢٧، وتفسير الجلالين الميسر ، ٥٦٢، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري القسم الثاني ، ١٢٣٢-١٢٣٣.

من يقول بالزيادة) أن تُسبَق بنفْيٍ، وأن تدخلَ على نكرة، وقد سُبِقَتْ هنا ب(ما) النافية، ودخلت على (تفاوت) وهي نكرة، فالشرطان موجودان، ودخولُها هنا ينفي نفيًا قاطعًا، وباتًّا أن يكون هناك أيُّ تفاوتٍ مهما بلغ صِغَرًا، أو كِبَرًا، وأنَّ الله لا يمكن أن يخلق شيئا فيه أيُّ نقص مطلقا، أو أيُّ عيبٍ بتاتًا[1]

تابع عوارض التركيب في الآية الثالثة والرابعة ودلالاتها:

في قوله تعالى :"فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ "، ثم ارجع البصر كرتين..." فيه هنا عددٌ من العوارض: أولها الفاء، فالفاء هنا فصيحة أو تفريعية ، وتعني أن جملة شرط هنا قد حفت بناء على السياق قبلها، وجاءت هي لتفصح عنها، وتفرع عنها جملة الجواب، والتقدير: إن كنت قد وعيت هذا وأدركته، فارجع البصر، أعد فأعد النظر، وقل: "هل ترى فطورا، ثم أعد النظر مرارا وتكرارا، فـ(كرتين) مثنًّى مقصودٌ به التكرارُ، ولا يعني المرتين فقط ، مثل قوله : "لبيك اللهم لبيك"، ف"لبيك" هنا لا تعني التلبيةَ مرتين فقط ، فهي تفيد التكرار المتواصل، والتلبية المتتابعة، وهي من الألفاظ المثناة المقصود بها التكرار، أي ارجع البصر كرتين، وكرات، مرتين، مرات، وقلِّبْ بصرك مرارًا وتكرارًا في صفحة السماء ، وأرنا أيَّ تفاوت واحد رأيتَ؛ ومن ثم قال الله تعالى في آية أخرى ممتنا :"والسماءِ ذاتِ الحُبُكِ" سورة الذاريات/ ٧، أي كمال الحَبْك، وتمام الصنعة، وكمال سَبْكِهَا، ودقَّة خَلْقِها، وهو في الأخير كناية عن كمال صفات الله : خلقًا، وصنعًا، ودقةً، وجلالا، فعارضُ الحذفِ واضحٌ من دخول الفاء، وعارض الزيادة واضحٌ من تكرير (مِنْ) ، و"فطور": مفعول به، مجرور لفظا، منصوب محلا، ودخل الجار هنا زائدا؛ ليبين أنّه لا يوجد ثَمَّ فطورٌ، أي شُقُوقٌ، مهما كانت دقتها، وصغرها، وكونها لا تُرَى إلّا بأدقِّ التلسكوبات الحديثة، وأرفع الميكروسكوبات المعاصرة التي تصوِّر الهَمْسَ، والخفيَّ، وتكبره مليارات المرات،

(١) إعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٤٦، والكشاف للزمخشري ، ١١٢٤-١١٢٥، وتفسير التحرير والتنوير، ٢٩/ ١٣-١٥.

فهذا كله لن يُظْهِرَ أيَّ عيب، أو خللٍ في خلق الله لسماواته السبع الطباق، وهو بيانٌ واضحٌ لإحاطة صفات الله، وكمالها، وجمالها، وجلالها، وشمولها، وأنّها صفات أزلية، سرمدية، أبدية، متواصلة، وهي لله وحده إلى أن يشاء الله جل جلاله .

وشروط زيادة: (من) – عند من يقول بزيادتها من النحويين، وهم أهل البصرة– موفورة، فـ "هل" هنا استفهامٌ، ومعناه النفي، ويُسَمَّى شِبْهَ النفي، على شاكلة قوله تعالى: " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ "؟ سورة الرحمن/ ٦٠، أيْ ما جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ، وعلى صورة قوله جل شأنه :" فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ؟" سورة غافر/ ١١، أي ما إلى خروجٍ لأهل النار من النار، وعودتهم إلى الدنيا ليكونوا صالحين من سبيل، وليس لهم من طريق، وفي قوله: "كرتين" عارض بالحذف؛ لأنها صفة للمفعول المطلق المبيِّن للعدد المحذوف، أي فارجع البصر رَجْعَتَيْنِ كَرَّتَيْنِ، فحُذِفَ الموصوف؛ اكتفاء بالصفة؛ لأنّه يدل عليها، وعلى أكثرَ منها، فحُذِفَتْ لدلالة موصوفِها عليها[1].

فتحمَّلت الآية من العوارض الكثير، كعارض الحذف في: (الفاء)، وعارض الزيادة في: (من فطور)، وعارض الحذف في: (كرتين)، وكلها عوارض تسهم في تعميق قضية الكمال، والجلال في صفات الله، وأنّ الله قد علم ذلك من عباده ، فأكرمهم بقبوله، وكونه واردًا بهذه الصورة من الحذوف ففيه تكريم للمؤمنين بأنّ الله قبل منهم كمالَ اعتقادهم فيه، وعميق إجلالهم لكتابه، وصفاته، وجميل فهمهم إياها، وإلمامهم بجمالها، وإدراكهم لشمولها، وعمق فهمهم لواسع معانيها.

وفي فعل الأمر: (ارجع) نصحٌ، وإرشادٌ من الله لعباده، وأخْذٌ بأيديهم إلى معرفة صفاته الجليلة، وأسمائه العظيمة بتمامها، وكمالها، واتساع مجاليها، وعمق مقاصدها، ودلالاتِ مبانيها.

(١) معالم التنزيل للبغوي ، ٨/ ١٧٦-١٧٧، وتفسير التحرير والتنوير ، ٢٩- ١٦-١٧ ، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٤٦-١٤٧.

وتجد جوابَ الأمر شيئًا عظيمًا، وجليلا حيث ورد الفعل (ينقلبْ) مجزومًا بقلقلة بائِهِ؛ لوقوع الفعل في جواب الأمر، وهو معنًى راقٍ؛ حيث تسمع صوتَ الانقلاب، والعود الحسير للبصر واضحًا في قلقلة الباء، وكأنَّ البصر قد ارتطم في حائط، فصُفِّيَتْ عينه، وسُمِعَ صوتُ فرقعتِها، واهتزاز مقلتها اهتزازًا شديدًا؛ لأنه طرف مريض، راح يرى، ويستجلي وجودَ خللٍ، أو ظهورَ عيبٍ في صنعة الله، فإذا به ينقلبُ مهتزا مذعورًا من خيبة ما فَعَلَ، ودونية ما صنع واقترف، أو لأنّ البصر قد أمسى عائدًا حسيرًا محزونًا من تمادِيهِ في إعادة النظر؛ لعله يجد شيئًا من تفاوت هنا، أو فطورٍ هناك، فعاد مضروبًا على عينيه، مسكوبًا منها ماؤُها، عُورَتْ، وقد صُفِّيَتْ مرتطمةً من عدم وجود شيءٍ مُسْتَدْرَكٍ على الله، خائبةً، منقلبةً دامعة من الخشية، منقلبةً، ساجدةً، متأسِّفةً، حسيرةً من أنّها حاولتْ أن تجدَ شيئا تَعِيبُ به صنعةَ الله، أو عيبًا تراه مهما دقَّ، فتعود واهية، مضطربةً، قد أثر فيها الجزمُ باهتزازِها اهتزازَ الحرفِ المُقَلْقَلِ، وانخلاعها من مُقلتِها، وتصفيتِها من نُورِهَا، والجزمُ هنا يأتي كناية عن كمال الصنعة، وتمام الخلقة، واحتباك السماء احتباكًا تامًّا، وكناية كذلك عن قوة الأخذ، وكبير اللطمة، وشديد الوخز فيها، واضطرابها في رجعتها وعودتها حاسرة كليلة النظر، مذلولة البصر، خائبة الغرض[1]

عوارض التركيب في الآية الخامسة ودلالاتها:

" وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) ".

هنا عارض بالحذف للمقسم به، فالأسلوب أسلوب قسم، والأصل : "وعزتي وجلالي لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح..."، وقد حذف للعلم به؛ لأنّه لا يملك تزيين السموات بكل مليارات تلك النجوم إلّا الله القادر المقتدر، وفي (مصابيح)

(١) التبيان للعكبري القسم الثاني ، ١٢٣٢ ،وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ٨٧٥-٨٦٧ ، والكشاف للزمخشري ، ١١٢٥ ، والتحرير والتنوير، ٢٩/ ١٩-٢٠.

كذلك عارض حذف مفهوم من السياق، أي بمصابيح كثيرة جدا" بدليل ورودها على صيغة منتهى الجموع ، وهو الجمع المنتهي في جمعيته، ولا جمع بعده، فهو على وزن مفاعيل ، وهي من أوزان وصيغ منتهى الجموع، ولكن اكتفي بوزنها عن الصفة بعدها؛ إذ يفهم من صيغة مفاعيل كثرتها الكاثرة، وأنواعها الكبيرة المتعددة، وهو معلوم في ذلك الأسلوب المعروف بأسلوب القسم، والذي يبدأ دائما بـ(لقد، ولقد)، ولكن الذي يبدأ بـ(قد) فقط دون اللام فهو أسلوب تحقيق، لا أسلوب قسم، نحو: "قد أفلح المؤمنون"، سورة المؤمنون/ ١ ، ونحو:" قد كانت لكم آية في فئتين التقتا"، سورة آل عمران/ ١٣ ، فثمة فرق بين الأسلوبين بينته اللام، أو الواو واللام معًا[1].

والله لا يقسم إلّا على عظيم، وخلق السماوات والأرض وتزيينها بكل تلك النجوم لا يستطيعه غير الله، مهما أوتي من مال، وجاه، وقوة، وقدرة، وعلم، وتقنيات، فهو في النهاية مخلوق ضعيف، لا يقوى على إنارة بيته بنفسه، ولا إنارة مصنعه بذاته

وفي قوله: "للشياطين" عارض بالحذف لمتعلق شبه الجملة: رجوما"، وتقدير المحذوف: جعلنا ثابتة ومستقرة وحاصلة للشياطين، وقد حذف متعلقه لإمكان التوصل إليه بأقل مجهود، وأقرب نظر، وأنّه عند المتخصصين معلوم أنّ أشباه الجمل لابد أن تتعلق بشيء، فهي لا تسبح وحدها دون ضابط في التراكيب، ولا بد أن ترتد متعلقة بشيء قوي، أو تعرب صفة ، أو حالا وفق النكرة ، أو المعرفة التي تسبقها، وتتعلق بها في معناها، وبيان مقصودها، ومرماها الذي سيقت لأجله.

وفي إبدال التاء من الدال في قوله:" وأعتدنا" ما يشعرك بكمال الإعداد، وجلال التجهيز، كما في قول الله عن امرأة العزيز في قصة يوسف عليه السلام :"وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً "، سورة يوسف/ ٣١، أي أعددته بأسلوب عصري، وزخرفة متقنة، وهندسة دقيقة، تجعل كلَّ واحدة منهن تراه كأنّه قبالة عينيها، وقريبٌ ملءَ سمعها، وبصرها،

(١) الكشاف للزمخشري ، ١١٢٥-١١٢٦، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٤٨-١٤٩ ، والبحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٢٣-٢٢٤.

وأنَّ ما تحتها من الكراسي يدور حيثما مشى يوسفَ، تتبعه عيناها من كلِّ مكان فيه، وترصد زواياه، وتنظر طوایاه، وتتحقق من جمال كلِّ جزءٍ فيه، وهي هندسة في وضع المتكأ والبناء وإعداد مكان الجلسة، وهي امرأة العزيز، مَنْ تملك من المال، والقدرات الكثير، وتحت يديها من الطاقات ما الله به عليم، يحدوه المكرُ النسائيُّ والدهاء التام، والإيقاع الكامل، وإعطائهن درسا في الضعف النسائي الكبير أمام السحر والجمال، والنضارة والحسن، والكمال، والدلال الفطري، والبراءة ، والجلال.

ولعلها عارض الحمل على المعنى؛ حيث إنّ (أعتدنا) أخذت معنى جهَّزْنَا تجهيزًا كاملا، جامعًا مانعًا، شاملًا كاملًا[1].

وفي قوله: "لهم" عارضٌ بالتقديم، وفي الوقت نفسه هو الحذف؛ لأنّ (لهم) شبه جملة تقدم على معموله، وما يعود عليه وهو التركيب الإضافي(عذاب السعير)، وكان الأصل " وأعتدنا عذاب السعير لهم"، فهو أولا عارضُ تقديمٍ، جاء هكذا؛ ليعجِّل تقديمُه بإعلامهم أنّه لهم قد أُعِدَّ، وَجُهِّزَ؛ ليتعذبوا قبل أن يعرفوه، وليذوبوا قبل أن يتذوَّقوه، وعارضُ الحذف يأتي من عدم وجود متعلِّق شبه الجملة، والأصل :"وأعتدنا عذاب السعير حاصلًا لهم، متمكِّنًا منهم، محيطًا بهم، مستقرًّا بين ناظريهم"، وقد حُذِفَ المتعلق به؛ لتذهب النفسُ في تصوُّرِ إعداده كلَّ مذهب، ولتتخيله بجميع ألواه، وأطيافه، وأصنافه كل متخيَّلٍ[2].

عوارض التركيب في الآية السادسة ودلالاتها:

" وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) "

هنا عارضٌ بتقديم للخبر: (للذين كفروا) على المبتدأ: (عذابُ جهنمَ)، وفيه في الوقت نفسه عارضٌ بالحذف؛ حيث تعلق شبه الجملة المتقدم، وتقدير المحذوف:"عذابُ

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٢٢، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: ، ٨/ ١٥٠٦.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٢٤، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٤٨، والتبيان للعكبري القسم الثاني ، ١٢٣٢.

جهنمَ مستقرٌّ للذين كفروا، ومحيطٌ بهم، ولاحقٌ بهم، وحاصلٌ لهم، وشامل لهم"، وجاء تقديم الخبر هنا لبيان سرعة وصول العذاب لهم، وتأخيرُ المبتدأ لِلَّهفة لمعرفته، وللاشتياقِ للوقوف عليه، والتقديمُ للتخصيص بأنّ عذابَ جهنم مقصورٌ على الذين كفروا بربهم، ومن تنكبوا الطريقَ الصحيحَ، وأخطؤوا السبيلَ القويمَ.

وعارضٌ للحذف الآخر، هو في المخصوص بالذم، وتقديره: وبئس المصيرُ مصيرُ الكافرين، وحُذفَ يُعطِي فرصة لتخيُّل أصنافِ الكفار، وأطيافِ المتعجرفين، وألوانِ الفَجَرَة، وأشكالِ المغضوب عليهم على تنوُّع أسمائهم، وتعدُّد أطيافهم، فترك حذف المخصوص بالذم له مقصوده القرآني، وغاية الكتاب العزيز في وضع تصور متعدد حسب كل تال وقارئ؛ لتتسع صورة المصير المحتوم البئيس، والنهاية القاتمة المحزنة[1].

عوارض التركيب في الآية السابعة ودلالاتها:

" إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) ".

هنا عارضٌ بالحذف؛ لأنّ الفعل مبنيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ حيث حذف الفاعل، وناب عنه المفعول به، وأصبحت واوُ الجماعة نائبَ فاعل، والتقدير: إذا ألقى الملائكةُ، أو ربُّ العزة الكافرين في جهنمَ سمعوا لجهنمَ تغيظا، وزفيرا، وكأنها تعي، وتدرك أنّ هؤلاء قد أغضبوا ربهم، وأنهم يستحقون الإذابة فيها، وأنّ تحطمَهم تحطيمًا، وتذيبهم ذوبًا عظيمًا، فبناءُ الفعل لما لم يُسَمَّ فاعلُه له دلالاتُه الكبيرةُ، فالذي ألقاهم أصنافٌ كثيرةٌ، أمرها الله بحرقهم، وسحلهم في نار جهنمَ، فيعود المُلْقِي ذا تصور كبير، فالله قادر، وكذا مَنْ يأمره من ملائكته، سواء أكان جبريل، أم عزرائيل، أم غيرهم من الملائكة، حيث ترك دونَ تحديدٍ لتذهب النفسُ في تصوره كلَّ مذهب، وتمضي في تخيله كلَّ متخيَّل.

(١) راجع الأساس في التفسير، ١٠ / ٦٠٢٦-٦٠٢٧، وتفسير التحرير والتنوير، ٢٩/ ٢٣-٢٤، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش، ١٠/ ١٤٩.

وفي قوله: "سمعوا لها" عارضٌ بالحذف؛ حيث حذف متعلق شبه الجملة الذي كان صفة ، فتحول بالتقديم- كعارض جديد- إلى حالٍ، والأصل: "سمعوا شهيقا لها"، فلما تقدمت الصفة تحولت حالا، وتعلق شبه الجملة بمحذوف، وتقديره :"سمعوا شهيقا مستقرا متواصلا متتابعا لها، ومحيطا بها، ولصيقا بها لا ينفك عنها، ولا تنفك عنه"، وهذا الشهيق يحرق ويدمر تدميرًا[1].

وبالطبع فإنّ الفعل :"تفور" يتعلق بمحذوف، وتقديره :" تفور بهم، أو تفور عليهم، وتغلي بهم"، والفعل: (تفور) يشعرك بصوت الغليان والفوران والأدخنة تتصاعد هنا وهناك، وهي أدخنة أخروية تكاد تسد الأفق من خطورتها واتساعاها وجبروتها، وقوتها، وكبر حجمها؛ فالنار صنعت خصيصا لهم، وهي معدة سلفا لأمثالهم، وهم من أمر الله بهم أن يحرقوا فيها، وأن تفور وتغلي هي عليهم بكل جبروتها ولهيبها، وحرارتها القوية، فعارض الحذف وترك صورة فوران النار، ومن تفور بهم يجعل الموقف في تصوره خطيرا، لا ينتهي تخيله، ولا ينجلي عن الذهن تصوره.

عوارض التركيب في الآية الثامنة ودلالاتها:

" تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) ".

هنا عارضٌ بالحذف، ولكنْ حذفٌ لحرف، وليس لكلمة، فإنّ الفعل:(تميَّز) أصلها "تتميز" بتاءين؛ تاء المضارعة، وتاء الفعل، ولكنْ لعل تميُّزها وتقطُّعها كنارٍ نهض حذفُ التاء له، وكأنّها تتقطَّع قبل أن تؤديَ معناها؛ ليكون تقطيعه دليلا على شدة لهيبها، وقوةِ نارِها ؛ حيث حُذِفَ جزءٌ من الفعل، وتقطَّع عن جسدِ فعلِهِ؛ تبيانا لمعنى التميُّز الحاصل في النار، وشبه الجملة: (من الغيظ) متعلقٌ بالفعل، أو في محل نصبٍ حالا ، وكذلك عارض الحذف في نظيره (ألقي) ؛ حيث حذف الفاعل، وناب عنه الفاعل، الذي حذف لتذهب النفس في الملقي وأنواعه كل مذهب، وأنت عرفت

(١) إعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٤٩، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٢٣-٢٢٤.

زبانية جهنم من واقع السيرة، حيث يمكن للملك الواحد أن يحطم الدنيا وما فيها، وأن يدمر أمما بكاملها، ولعل قرية لوط عليه السلام خير ما يستشهد به هنا حيث جعل الملائكة عاليها سافلها، وحملوها عاليا حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب، وصياح الديكة، ثم طَمُّوهَا على رأسها، فتدمرت تمامًا، وسُوِّيَتْ بالتراب في لحيظات قليلة، مات الجميعُ، وسُوُّوا بالأرضِ، وما عاد لهم من أثر، وكان الناس يمشون لاحقًا، يقولون: "كانت هناك قرية لوط، ولكن لا أثر لها، ولا وجود"، وأنّ سيدنا جبريل عليه السلام له سبعمائة جناح، حمل قرية لوط كاملة على طرف من جناح واحد منها، فإذا تخيل المرء قدرة جناح واحد من أجنحة الملك، فكيف بها جميعا، وكيف بجملة من الملائكة أشداء عندما تلقي برجل في جهنم، أو بكافر في قعر النار؟!![1].

وفي :"سألهم خزنتها" عارضٌ بالحذف، أي سألوهم سؤالا، وجملة ألم يأتكم نذير تفسيره، ولكن حذفت كلمة سؤالا ليواجهوا العتاب السريع، والتحقير الشنيع، والتبكيت المريع، والحذف فيه تعجيل بالعتاب والتهكم، والسخرية.

وفي (سألهم خزنتها) عارضٌ بالتقديم، حيث تقدم المفعول، وتأخر الفاعل وجوبا لكون المفعول ضميرا متصلا، والفاعل اسما ظاهرا، وهذا التقديم مخيف؛ لأنّه قدم سؤالهم، وما فيه من الرعب والهول والفزع والهلع، وأخّر السائل لمزيد من الانتظار، وفيض من الرعب والخوف، والوجل وانتظار رؤية السائل بفظاعته وتجهمه، وقوته، وشدة بأسه، وصلصلة صوته[2].

وفي قوله:" ألم يأتكم نذير" عارضٌ بالتقديم كسابقه؛ حيث تقدم الضمير المفعول به وجوبا للتعجيل بتبكيتهم، والتهكم بفعالهم، والسخرية من سلوكهم، كما أنّ تأخير الفاعل وجوبا فيه ارتقاب له، وخوف منه، وهلع من انتظار رؤيته، وهو كناية عن

(١) إعراب القرآن وبيانه للدرويش ،١٠/ ١٥٠، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) إعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٤٩، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٢٤.

رعب اللقاء بين التقديم، والتأخير[1].

عوارض التركيب في الآية التاسعة ودلالاتها:

وفي قوله تعالى : "بلى" عارضٌ بالحذف، وتقديره: "بلى قد جاءنا نذير، ولكننا كذبنا به، ولم ننهض لنذارته، ولم نعملْ حسابًا لكلامه، ونصحه، وقوله، وتمادينا في المعصية، وإغلاق العقل، وصَمِّ الأذن، وغفْلة القلب، وتلك عاقبة صَدِّنا، وجهلنا".

وفي قوله : "جاءنا نذير": عارضٌ بالتقديم الواجب للمفعول، وتأخير واجب للفاعل، وفي هذا التقديم للمفعول إقرار سريع واعتراف عاجل بأنّ النذير قد جاءهم، وتأخير نذير وتنكيره ينهض اعترافا عليهم، وإلصاقا بهم ما قاموا به من التكذيب لكل نذير، وتنكيره يعني أنّه كان نذيرا قويا متمكنا من إيصال رسالته، ومدركا لوظيفته، فاهما لمهمته.

وفي قوله : "فكذَّبْنا" عارض بالحذف في المفعول، والتقدير فكذبنا النذير، والرسول والنبي، فحذف المكذب لتذهب النفس في تصوره كل مذهب: نبيا كان أم رسولا أم داعية، أو مصلحا، فهم قد كذبوا كل من جاءهم، وذكرهم بالله، ويترشح ذلك بأداة الشرط: "كلما" التي تفيد تكرار وجود الجواب بتكرار الشرط، فهي وجود لوجود، تقول: "كلما زرتني أكرمتك"، حيث يحدث مني إكرام متتابع كلما كانت منك زيارة، ونحو: "كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله"، ونحو: "كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا"، وهكذا[2].

كما أنّ تضعيف الفعل (كذَّبَ: بتشديد الذال) يكشف عن عمق التكذيب، واتساعه، وأنّه كان ديدنًا، وعملا متواصلا منهم لكلِّ نذيرٍ جاءهم، وما جَبَرُوا خاطرَ أيٍّ من

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ٨/ ١٥٠٩-١٥١٠، وإعراب القرآن الدرويش ،١٠/ ١٤٩، والكشاف للزمخشري ، ١١٢٥-١١٢٦.

(٢) تفسير الجلالين الميسر ، ٥٦٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٨٧٦، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠ / ٢٢٤-٢٢٥، ومعالم التنزيل للبغوي ، ٨/ ١٧٧.

المرسلين، والمنذرين[1].

وفي قوله تعالى :" وقلنا ما نزل الله من شيء" عارضٌ بالزيادة (عند من يقول بالزيادة في الكتاب العزيز)، فقد جاءت "من" قبل المفعول به؛ لتبين حجم التكذيب، وسعة الفجر، واتساع قسوة القلب؛ حيث قالوا : لا شيء مطلقا قد أنزله الله، وما سمعنا كليمة واحدة قيل: إنها نزلت، وهو كناية عن انغلاق العقل، وفراغ القلب من أيِّ لمسةِ إيمانٍ، أو نِسمةِ صدقٍ يمكن أن تصدر عنهم، بل نفوا نفيا قاطعًا وباتًّا لأي شيء أنزله الله، وهو كناية كذلك عن سعة الجفاء، وجلافة الرأي، ودمار الروح، وسواد النفس، وعدم الموضوعية في الفكر، ولا التوازن في الرؤية، وانطفاء الذات، فدخول:(من) التي قيل إنها زائدة قد بَيَّنَ عمقَ التكذيب، وقصد نيةَ الصد، ومدى قسوة القلب، وتَدَنِّي دناءة الطبع، وخسة التربية، وانتكاس الفطرة.

وجاء شرطَا زيادة "من"، وتوفَّر في الآية، فقبْلها "ما" النافية، وهو الشرط الأول، ودخل حرف الجر (مِنْ) على نكرة، وهو الشرط الثاني، وهي :"شيء"، وقد بيَّن دخولُه حجم الكفر، ونيَّةَ الصَّدِّ عن سبيل الله، وسَعَة الاستعداد لأعمال الكفر، وإيقافِ الدعاة، والتضييقِ عليهم في كل مكان، وإثنائهم عن دعوتهم، وما جاؤوا لأجله، والحيلولة دون وصولهم للناس، وتركهم يهدونهم إلى ربهم، ويعرقلون لقاءاتهم بخلق الله.

وتشكيلة: (فكذبنا، وقلنا) بـ"نا" العظمة تفيد الكبر الذي خيم على القلب والعقل والسلوك والتعامل)، كما أنّ زيادة (من) أكدت سعيهم المتواصل من الإنكار، والصد، والوقوف ضد أي قول ، أو فعل لأي نبي ، أو رسول أو نذير[2].

وفي قوله تعالى :"إن أنتم إلّا في ضلال كبير"، فيه عارض الحمل على المعنى، حيث حُمِلَتْ (إنْ) ساكنة النون على (ما) النافية، فكان هناك نفي، وإثبات، وهو أسلوب

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ٥/ ١٩٨، والبحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٢٤-.٢٢٥
(٢) الجامع لأحكام القرآن ،٢١ / ١٢٠-١٢١، وإعراب القرآن للدرويش ، ١٠/ ١٥٠ ، والكشاف للزمخشري ، ١١٢٧.

قصر، يؤكد سوء صنيعهم؛ حيث وسموا أنبياء الله ، ورسله، ومن جاؤوا لإنذارهم بأنّهم في ضلال كبير، كأنّهم هم الهداة، والدعاة، والقضاة الذين يطلقون الأحكام، ويصنفون الناس بين ضال، ومهتد، فوصفوا أنبياء الله بأنهم يغطون في الغواية، وهم متشرنقون داخل الضلال، وتأتي(في) لتبين عمق السب، وخطورة الوصف؛ حيث تفيد الظرفية التي تعني أنّ المرسلين قد ظرفوا في الضلال الذي يحدث عن نفسه بأنه كبير، وله كبر وحجم واضح، يبرز ضلالهم، ويكشف عن غوايتهم، وبعدهم عن الهداية.

وفي ضلال: عارضٌ بالحذف؛ حيث حُذِفَ خبرُ المبتدأ الذي تعلَّق به شبهُ الجملةِ، والتقدير:" ما أنتم إلّا مستقرون، منغمسون، متعمقون، داخلون في ضلال كبير"، وحذف الخبر؛ لتتخيل النفس حجم ما فيه المنذرون - على رأي المكذبين- من ألوان، وأصناف الضلال، ومدى انغماسهم، ودخولهم، وانغراسهم فيه، حتى إنّ الرائي لا يراهم من انظرافهم، والعياذ بالله في الضلال، الذي ورد منكرا؛ ليشمل كل ضلال يمكن أن يتخيله عقل، أو يذهب في تصوره فكر.

ولعل كلمة:" كبير"، وهي صفة مشبهة، تفيد الثبات، والدوام، وهي كذلك منكَّرة، تبيِّن حجم الاتهام، وعِظَمَ الجُرْمِ، واتساع الإهانة، وخطورة الوصف لمن أرسلهم الله للناس هادين، مهتدين، ومن ربهم مرسلين، ولرسالتهم مدركين، مخلصين، جادين، وعاملين، لا يكلُّون، ولا يَمَلُّونَ، ولربهم مطيعين[1].

عوارض التركيب في الآية العاشرة ودلالاتها:

" وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ(١٠) ".

هنا عدة عوارض، منها عارضٌ بالحذف في مفعول الفعل: "نسمع"، والتقدير:" لو كنا نسمع نصحهم، ووعظهم، وحديثهم، وأعطينا أنفسنا وقتا ولو يسيرا للسماع ما

(١) الكشاف للزمخشري ، ١١٢٧-١١٢٨، وإعراب القرآن للدرويش ، ١٠/ ١٥٠ والبحر المحيط، ١٠/ ٢٢٤.

كنا في أصحاب السعير، ومن أهل النار.

وترك المفعول هنا؛ لتتصوَّر النفسُ مدى اتساع صلفهم، وكبرهم عن أي سماع، ولو لعبارة واحدة، أو جملة واحدة، فقد استغشوا ثيابَهم، وأصروا، واستكبروا استكبارا، فَحَذْفُهُ بيَّن لنا صورةَ الكبرياء، وأنّ هؤلاءِ من الملأ الذين لا وقتَ عندهم لسماعِ دين، أو لاتِّباعِ نبيٍّ، أو الجلوس مع نذيرٍ، فهم من الكبر، والصلف بحيث لا يستأهل هؤلاءِ الرسلُ عندهم سماعا، ولا لقاء، ولا يريدون منهم حديثا ، فحياتهم ولهوهم وشهواتهم أولى، وأهَمُّ.

وكذلك هناك عارضٌ بالحذف في مفعول الفعل: "نعقل"، والتقدير:" أو نعقل قولا، أو حكمة، أو نصحًا، أو موعظة"، فهم قد وَصَفُوا أنفسَهم بأوصافٍ دنيئة، وأقرُّوا على أنفسهم بِنُعُوتٍ بذيئة: أنّهم متكبرون، لا يسمعون، ولا يعقلون، فاعترفوا بخطئهم، وسُوء فعالهم، ولات حين ندم، فلا عودةَ لدنيا، ولا رجوعَ لحياة، فقد أُعْطُوا فرصتَهم كاملةً في حياتهم، وكلَّمهم المرسلون جهارًا، وإسرارًا، ليلًا، ونهارًا، ولكنهم صَمُّوا آذانَهم، وأغلقوا عقولَهم، واستغشوا ثيابهم، وكان منهمُ الصدُّ، والكبرُ، والصلفُ، والجلافةُ التي أَوْدَتْ بهم إلى الجحيمِ، فكانوا من أصحاب السعير.

وكذلك في قوله: " مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" عارضٌ بالحذف، حيث حُذِفَ خبرُ "كان"، وبقي متعلقه، وهو شبه الجملة: "في أصحاب السعير" دليلا عليه، والتقدير: ما كنا مستقرين، موجودين، محشورين، حاصلين، ضمنَ أصحاب السعير، وقد حُذِفَ هذا الخبر لتتملَّى النفسُ المؤمنة كلَّ ما يمكن أن يكون خبرًا يتعلق به شبه الجملة، وليكون التخيلُ واسعًا؛ لأنّ الذِّكْرَ قيدٌ، والحذف فيه متسع، وإطلاق؛ حتى تتصور النفس فيه كل متصور، وتذهب في تقديره كل مذهب، فترعوي النفس المؤمنة.

والحرف: (في) يفيد الظرفية، وأنّهم في أعماق السعير، مظروفون فيها، منغمسون في أتُونِها، متحطِّمون في قعرها، لا يراهم الرائي؛ لأنّهم وسط الجحيم، يتقحَّمون النارَ،

وتغمسهم في حرارتِها، يتقلبون في زواياها، ويذوبون في طواياها، وتفتتوا في ثناياها.[1] والإضافة هنا مُحْزِنَة، فهو كأنهم أصحاب النار، لا تتركهم، ولا يتركونها، ولا يستطيعون، فهي معلَّقة بهم، وهم ملتصقون بها، وأصحابها، وهي كنايةٌ عن ملازمتهم إياها، وعدم تَرْكِها لهم، ومتابعتها المتواصلة، فهي لهم، وهم لها، وهم أصحابها، لا تتركهم مطلقا، ولا ينفكون عنها أصلا.

عوارض التركيب في الآية الحادية عشرة ودلالاتها:

" فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ".

في قوله تعالى :" فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ" عارضٌ بالحذف في: (بذنبهم)؛ حيث حُذِفَ متعلقُه على أحد أوجه الإعراب، والتقدير: فاعترفوا كلَّ الاعتراف بذنبهم ، وأقرُّوا به، أو هو حال ، أي اعترفوا حالةَ كونِ اعترافِهم بذنبهم، وإقرارِهم بخطئهم.

ويمكن أن يكونَ من قبيل الحمل على المعنى، أيْ فاعترفوا مع ذنبهم، فالباء تحمل معنى المعية، والاصطحاب، والذنبُ هنا اسمُ جنسٍ ، أي اعترفوا بذنوبهم؛ لأنّه ليس ذنبًا واحدًا، بل هي ذنوبٌ كثيرة متعددة.

وفي قوله: "فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ" عارضان للحذف ؛ الأول منهما في حذف عامل المفعول المطلق، والتقدير: اسحقُوا سحقًا، أي ابعدوا بُعْدًا، وانسحقُوا سحقًا، وحُذِفَ الفعلُ، وبَقِيَ الاسمُ، أو المصدرُ الدالُّ على الثبات، والاستمرار، فالسَّحْقُ، والهلاكُ ملازمٌ لهم، وفي الحذف تعجيلٌ بالألم، والدعاء عليهم.

والثاني من الحذف هو متعلقُ شبه الجملة، والتقدير : فسحقًا مستحَقًّا وحاصلًا، ومستقرًّا، وثابتًا، وملازمًا لأصحاب السعير، وفي الآية استقرار العذاب، والانسحاق فيه لأصحاب السعير، وأهله، وناسه.

(١) الكشاف للزمخشري ، ١١٢٧، وإعراب القرآن للدرويش ،١٠/ ١٥٠، والبحر المحيط،١٠/ ٢٢٥، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٨٧٦.

أو لعلَّ التقدير فسحقًا حاصلًا، وهلاكًا ثابتًا، وتعبًا متواصلًا لأصحاب السعير.[1]

عوارض التركيب في الآية الثانية عشرة ودلالاتها:

" إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) ".

في أول الآية عارضٌ بالحذف، فـ"الذين" صفة لموصوف محذوف، والتقدير :"إنّ الأشخاص، أو الناس، أو الخلائق"، ونحوها من الكلمات ؛ لأنّ "الذين" اسم موصول، وقع هنا صفة، وحُذِفَ الموصوفُ؛ لقيام الصفة به، وفي قوله: (بالغيب) عارضٌ بالحذف، وتقديره :" يخشون ربهم خشية مستقرة بالغيب"، فهم يخشونه وحدهم، وفي انعزالهم، وقد أُسْدِلَتْ ستائرُ بيوتِهم، فالخشية فيهم مستقرة، متأصلة، نابعة من قلوبهم، متغلغلة في أفئدتهم؛ ومن ثم فهي خشية، وليست خوفًا، فمقامُ الخشية فوقَ مَقَامِ الخوف، وأجَلُّ؛ ومن هنا وُصِفَ به الكبارُ، الأتقياءُ، والعلماءُ الأصفياء، قال تعالى:"إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ"، وكذا وُصِفَ ابنُ أم مكتوم الذي جاء- بمحض إرادته-، وهو كفيف؛ ليتعلم من الرسول الكريم، وهو يسعى، قال تعالى :" وأما من جاءك يسعى وهو يخشى..." الآيات.

وفي قوله:" لهم مغفرة، وأجر كبير"، عددٌ من العوارض؛ أولها عارض التقديم؛ حيث تقدم الخبر شبه الجملة: (لهم) جوازًا لوجود المبتدأ المنكر الموصوف بعده، وهذا التقديم يشعر بالفرحة، والسعادة، حيث عجَّل الله لهم بالبشرى، واستعمل اللام التي تفيد الملكية، والاكتساب، نقول:" هذا المال لك" فقد صرت صاحبه، ودخل على قلبك السعادة، فعجل القرآن الكريم بسعادتهم في تقديم المغفرة، والأجر الكبير، والضمير (هم) يشعر بكثرتهم، وهو كناية عن سعة فضل الله، وجميل عطاياه، وشامل نعماه، فكل من خشي ربه نال رضاه.

وفي(مغفرة) عارض بالحذف أفاد به وصف الأجر، أي مغفرة واسعة كبيرة، وأجر

(١) الكشاف للزمخشري ، ١١٢٦، وإعراب القرآن للدرويش ،١٠/ ١٥٠، والبحر المحيط ، ١٠/ ٢٢٥ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٨٧٦.

كبير، وهذا هو المسوغ لتقديم الخبر، أن يعطف على المبتدأ المنكر، منكر آخر موصوف، فتنسحب الأحكام عليه؛ لأنّ العطف يقتضي ذلك، وهو من مواضع ومسوغات مجيء المبتدأ نكرة، فهنا عارض بالحذف أبان عنه السياق، والقاعدة النحوية في باب مسوغات الابتداء بالنكرة[1].

وفي قوله:" لهم" عارض بالحذف حيث حذف الخبر، وبقي متعلقه، وهو شبه الجملة، والتقدير مغفرة واسعة وأجر كبير مستقر لهم، ومحوط بهم، وموجود لأجلهم، وحاصل لهم، وقد حذف لتذهب النفس في تصوره، وتخيله كل مذهب ومتخيل، ومتصور، وتلك عادة القرآن الكريم، وسمة من سماته.

والآية كلها كناية عن رفعة، ومكانة، ومنزلة، ومقام أهل الخشية عند ربهم، كما أنّ تنكير: (أجر) يَشِي بعِظَمه، وتنوُّعه، وكِبَره، وجلاله، يرشِّح ذلك ويقوِّيه مجيء الصفة المشبهة: (كبير) منكَّرة هي الأخرى، فجمعتْ بين كبره، وضخامته، وبين ثباته، واستمراره، وأبديته، وبقائه، وسرمديته، وتأصله لهم، فكأنه قد صار حقًّا ملازمًا، ومُزَامِلًا لهم، وهم أصحابه[2].

عوارض التركيب في الآية الثالثة عشرة ودلالاتها:

" وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) ".

في قوله: "عليم" فيه عارضٌ بالحذف؛ لأنّ فعل "العلم" متعدٍّ، فالمشتقُّ منه متعدٍّ مثله، أيْ عليمٌ علمًا تامًّا بذات الصدور، وقد حُذِفَ لقيام المشتق بمعناه، و"ذات الصدور" مجاز مرسل علاقته المكانية، فالصدر وعاء القلب، أيْ عليم بما في القلوب، لكنْ، لَمَّا كان الصدرُ مكانًا للقلب، وملازمًا فيه نُسِبَ الأمرُ إلى الصدر، فالصدورُ

(١) إعراب القرآن للدرويش ،١٠/ ١٥١-١٥٢، والبحر المحيط ، ١٠/ ٢٢٥-٢٢٦ ، وتفسير الجلالين الميسر ، ٥٦٢.

(٢) راجع : إعراب القرآن للدرويش ، ١٠/ ١٥١-١٥٢، والبحر المحيط ، ١٠/ ٢٢٥، وتفسير الجلالين الميسر ، ٥٦٢ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٨٧٦، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٣٠.

هي أوعيةُ القلوب، وهي مصدر الفرح، والانشراح، أو الترح، والانبطاح، والحزن، والانزياح، كما أنّ "عليم" فيها عارض الحذف كذلك، حيث حُذِفَ الموصوف، وبقيتْ صفته، والتقدير: "إنه ربٌّ، ومولًى، وإلهٌ عليمٌ بذات الصدور."

واستغنَتِ الآية بالصفة عن ذكْر الموصوف، للعلم بالموصوف علمًا تامًّا، لا يحتاج معه إلى ذكْر له متواصل، فالله رب عليم بكل شيء.

وتنكير "عليم" يفيد سعة العلم، واتساعه بصورةٍ شاملة، وكاملة، وجامعةٍ، ومانعةٍ؛ لأنّها نكرةٌ من جانب، وهي صفةٌ مشبهة من جانب آخر، فجمعتْ بين الشمول، وعظمة الاستمرار، والأزلية، ومعلوم أنّ الصفة المشبهة تفيد ثبوتَ تلك الصفة بكمالها، ودوامها، وأزليتها، وأبديتها.[1]

عوارض التركيب في الآية الرابعة عشرة ودلالاتها:

"أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ".

في الفعل: "خلق" عارضٌ بالحذف، حيث حُذِفَ المفعولُ به، وهو الضمير البارز المحذوف، والتقدير: "ألا يعلم مَنْ خلقهُ الله"، وهو تبكيتٌ، وعتابٌ، وتوبيخٌ لمَنْ كان من المفترض أن يؤمنوا، ويصدِّقوا بالرسالات، وبالرسل، ولكنهم تنكبَّوا طريقَ الإيمان، وسبيل التقوى، ومهيع الإحسان والالتزام، وكان يجب عليهم أن ينهضوا بالدعوة، ويكونوا من مساعدي الرسل، ومعاوني الأنبياء، ومن يساندهم لأنهم أَتَوْا بالحق المبين.

وفي كل من: "اللطيف الخبير" عارضٌ بالحذف، حيث حذف اسم الجلالة، ونابت عنه صفته، وإذا قلنا : هي أسماء الله، فلا حذف هنا، وإذا قلنا :هي صفات الله"، فثم عارض بالحذف، وإنّما حذف لشدة العلم به، وتواصل الذكر له، وأنّه الذي يعلم علم اليقين بكل شيء في كونه، ولا أحدَ يعلم علمه، ولا يصل إلى شيء من علمه جل

(١) تفسير البحر المحيط ، ١٠/ ٢٢٥، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٣٠، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٥٢-١٥٣.

جلاله .

ولعل هنا حذفا في كل من اللطيف والخبير، أي اللطيف بكل شيء، والخبير بكل حدث في كونه، وحذف لإطلاق الفهم، وسعة التصور في لطف الله، وخبرته بكونه، وخلقه، وأفعالهم قبل أن يفكروا فيها، فضلا عن أن يعملوها[1].

عوارض التركيب في الآية الخامسة عشرة ودلالاتها:

" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ".

في قوله: "هو الذي" عارضٌ بالحذف؛ حيث حُذِفَ اسم الجلالة (الله)، والتقدير: "هو الله الذي، واكتفى بالموصول عمن يعود عليه؛ للعلم به، وعدم نسيانه، أو لا يحتاج المؤمن أن يُذَكَّرَ في كل مرة بربه، ومولاه.

وفي :"جعل لكم الأرض ذلولا" عارض التقديم لمتعلق المفعول به الثاني للفعل: "جعل"، والأصل وهو الله الذي جعل الأرض مستقرا وأرضا ذلولا ميسرة مذللة، ممهَّدةً موطَّأةً لكم؛ لئلا تتعبوا في السير عليها لو كانت جبالا، وحجارة ضخمة، وهضابًا كلَّها، وهي كنايةٌ عن سعة رحمة الله، وكبير رأفته بخلقه، وواسع عطائه لعباده.

وفي(الذي جعل) عارض بالحذف في اسم الجلالة (الله)، كما سبق؛ لأنّها من قبيل تعدادِ النعم، وكلها من الله، فَاكْتُفِيَ بالموصول عَمَّنْ يعودُ عليه؛ علمًا به، وتَذَكُّرًا دائمًا له[2].

(١) تفسير البحر المحيط ، ١٠/ ٢٢٥، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٣٠/ ٣١، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ،١٠/ ١٥٣-١٥٤.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ١٥٣-١٥٤ ، والكشاف للزمخشري ، ١١٢٧، وإعراب القرآن للدرويش ، ١٠/ ١٥٤-١٥٥، ومعالم التنزيل للبغوي ٨ / ١٧٨.

عوارض التركيب في الآية السادسة عشرة ودلالاتها:

" أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) ".

في قوله: "مَنْ في السماء" عارضٌ بالحذف؛ حيث حُذِفَ الخبرُ، وبقي متعلقه: (في السماء)، والتقدير:" ومَنْ مهيمن في السماء، ومَنْ إلهٌ ومسيطرٌ، ومحيطٌ بالسماء"، أو ملكوته في السماء، أو سلطانه، وقدرته؛ خروجا من خلاف الجهة والتحيز، وهو كناية عن موصوف، وهو الله- تعالى- وحُذِفَ الخبرُ؛ لتتصور النفسُ في قدرته كلَّ متصور، وتطلق الخيالَ للتفكير الواسعِ لحجمِ القدرةِ، وسَعَةِ المقدرة، ولتذهبَ النفس في تصوُّر مثل تلك العزة، والمقدرة كلَّ متصور، وكلَّ متخيَّل.

وفي قوله: "أن يخسف بكم الأرض"، عارضٌ بالحذف في حرف الجر، أي مِنْ أنْ يخسفَ بكم الأرضَ، وحُذِفَ حرفُ الجر قياسًا من : "أن المصدرية، والفعل، والفاعل، أو من أنَّ المشددة، والاسم، والخبر"، فالمصدر المؤول مجرور بهذا الحرف المحذوف، وحُذِفَ قياسًا للإسراع ببيانِ مَنْ في السماء، والراحة الكاملة به - سبحانه، وتعالى-.

وفي قوله تعالى :" فإذا هي تمور" عارضٌ هو الحمل على المعنى، فقد قامت "إذا" الفجائية مقام "الفاء" الرابطة لجواب الشرط بالشرط على شاكلة قول الله- تعالى-: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ سورة الروم/ ٣٦ ، أي فهم يقنطون، وقد تمَّ ذلك؛ لبيان السرعة في مَوَرَانِ الأرض، وحركتها، وغليانها، وتحطُّمها على من فيها، وذوبانها بأجسادهم، والمفعول المطلق للفعل تمور، أي فإذا هي تمور مورانا شديدا، وتعج بالحركة والاضطراب الشديد، والزلزلة الكبيرة، ويمكن أن يكون هناك عارض تقديم؛ لأنّ الأصل في إذا إضافتها إلى جمل فعلية، وهي الآن جملة اسمية، وتجد المعربين يقولون هي فاعل مقدم على فعله، ولا يتقدم الفاعل على فعله إلّا إذا كان الفاعل اسما ظاهرا، ولكنه هنا ضمير مستتر، كما أنّ الجملة الفعلية تتغير، والاسمية تثبت؛ ومن ثم فالأدق أن يعرب مبتدأ وجملة: (تمور) خبره؛ لتكون الصفة، أو الخبر ثابتا متواصلا، فالمَوَرَانُ موجودٌ لا يتوقف، والتعبير بالاسمية

أجلُّ وأشرفُ من التعبير بالفعلية، والمقامُ هنا مقامُ آخرةٍ، لا مقامُ دنيا، وأنّ الله قوته لا تتصوَّر، وقدرته لا تُتَخَيَّلُ، فالأولى ألّا يكون هناك عارضُ تقديمٍ، وإنّما عارضُ حذفٍ لمتعلِّق الفعل(تمور) كما سلف أن أوضحناه، وتركه القرآن الكريم؛ لتذهبَ النفسُ في تخيُّله، وتطلق العِنَانَ في تصوُّره[1].

عوارض التركيب في الآية السابعة عشرة ودلالاتها:

" أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) ".

في قوله:" أم أمنتم..."، هنا عارض بالحمل على المعنى؛ حيث حملت(أم) على معنى(بل) كأنّه أضرب عن التهديد الأول؛ لينتقل إلى تهديد آخر، وفي تعدُّد التهديد تخويفٌ من الله لهم؛ لعلهم يؤوبون، وإليه يُرجَعون، وفي قوله :" من في السماء" عارضٌ بالحذف، والتقدير: "مَنْ هو في السماء، أو من هو مهيمن رقيب في السماء، أو من ملكوته، وسلطانه، وقدرته في السماء، ونحوها مما يبعدنا عن دائرة التحيز، والجهة والتشبيه"، وهو كناية عن موصوف، هو الله، ربُّ العالمين، ويحمل التهديد، والوعيد لأهل الأرض، وثمة عارض بالحذف كذلك في قوله: (أن يرسل عليكم حاصبًا) أي من أن يرسل، فالمصدر المؤول من "أَنْ وما بعدها من فعل وفاعل ومفعول به)، مجرور بحرف جر محذوف قياسا، أي مَنْ يأمن مِنْ ذلك؟.

وفي قوله: "فستعلمون كيف نذير" عارضٌ بالحذف؛ لأنّ الفاء هنا فصيحة، أو تفريعية، فهناك شرط محذوف يوضحه السياق، والتقدير: "إن كنتم قد فهمتم هذا، ووعيتموه، وأدركتموه فستعلمون كيف نذير".

وهو كناية عن شمول التهديد، وعموم الوعيد، والجمع(فستعلمون) بواو الجماعة، تهديدٌ للجميع، ووعيدٌ لكلِّ مَنْ تسوِّل له نفسُه أن يعبث برسالة السماء، أو يتهاون في الالتزام بها، والنهوض بحقها.

(١) راجع البحر المحيط لأبي حيان، ١٠/ ٢٢٦-٢٢٧، وإعراب القرآن للدرويش، ١٠/ ١٥٤-١٥٥، والكشاف للزمخشري، ١١٢٧.

وفي (كَيْفَ نَذِيرِ) عارضٌ بالتقديم؛ حيث تقدم الخبرُ وجوبًا على المبتدأ؛ لبيانِ الكيفيةِ التي سَتَرِدُ بها النذارةَ الإلهيةَ، والأصل :"نذيري"، فحذفت ياء المتكلم؛ اكتفاءً بكسرِ ما قبلها، واجتزاءً بها، واسم الاستفهام يبيِّن حجمَ النذارة، وكبرَ التهديدِ، وسعةَ الوعيدِ من اللهِ لهؤلاءِ المُتَجَرِّئينَ من الخلقِ على الرسالة، والمرسلين، وعدمِ تَوَرُّعِهِمْ، وكثرة تدخلهم في رسائل السماء، والمرسلين، والأنبياء، والصلحاء، والدعاة[1].

عوارض التركيب في الآية الثامنة عشرة ودلالاتها:

" وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) ".

في قوله: "ولقد..." هو أسلوب قسم، فيه عارضٌ بالحذف، حيث حُذِفَ اسمُ الجلالة، وهو المُقْسَمُ به، والأصل: "وعزتي وجلالي لقد كذب..."، والقسمُ تهديد كبير، ووعيد للمكذبين، وهو تقرير لسلوك هؤلاء المجرمين، وتشكيلة الفعل(كَذَّبَ) وتضعيف العين في الفعل يبين حجم التكذيب، وأنواعه، وكبر حجمه، وتعدده، وفي قوله: "الذين" فيه عارض بالحذف ، والتقدير:" الأشخاص الذين، أو هؤلاء الناس الذين، وقد حذف لاتساع تصوره:" رجالا ونساء، كبارا وصغارا، علماء وجهلاء، شبابا وشيبا"، وفي قوله:" من قبلهم" عارض بالحذف، تقديره: كانوا أو استقروا، أو وُجِدُوا، وعاشوا، وغيرها من معاني السياق، والجملة صلة الموصول، وأيضا فإنّ مفعول الفعل: "كذبوا" قد حذف، والتقدير: كذبوا الأنبياء، أو كذبوا الدين، أو كذبوا الرسل، والصلحاء، والعلماء، وكل من أرسلهم الله إلى الناس، وقد حُذِفَ المفعولُ؛ لبيان التوسعة للتكذيب، وأنّه شمل كلَّ ما يمكن تصوُّره، وما يمكن تخيُّله من تنوُّع التكذيبِ، وتعدُّدِه، وشمولِه، والتفنُّنِ به، وأنّه من التَّوَسُّعِ بحيث أُطْلِقَ تخيُّله بالحذف، وتُرِكَ تحديدُه لئلا تقيُّد بتحديده، والتقييد هنا أطلق بالحذف لبيان مدى الفُجْرِ، والكفر، وسَعة التكذيب، وتنوُّع من كذبهم هؤلاءِ الفجَرةِ، الكَفَرةِ.

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ، ١١٢٧، وتفسير الجلالين الميسر ، ٥٦٣ ، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٥٤، والأساس في التفسير ، ١١ / ٦٠٣٢-٦٠٣٣.

والآية كلها كناية عن وسم فعل الكفار بالتكذيب المتواصل، وكناية عن التهديد السماوي، والوعيد الرباني الكبير؛ وفيه ردعٌ كبيرٌ لهؤلاءِ المكذبين، الظالمين، المجرمين، المتجرئين، المتكبرين في أرض الله.

وفي قوله: "فكيف كان نذير" عارضٌ بالحذف، فالفاء فصيحة، وتفريعية، والتقدير: "إن كنتم قد فعلتم ذلك، ووعيتموه فستعلمون علما يقينيا كيف سيكون نذيري، وقدرتي، وانتقامي، وحجم بأسي، وجبروتي"(١).

عوارض التركيب في الآية التاسعة عشرة ودلالاتها:

" أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) ".

في قوله: "أولم..." هنا عارضٌ بالحذف؛ حيث حُذِفَتْ جملة كاملةٌ بين الأداتين: الهمزة، وواو العطف، وهو أسلوبٌ عربيٌّ أصيلٌ؛ حيث تتوالى أداتين بينهما جملةٌ محذوفة، والتقدير هنا :"أعَمُوا فلم يَرَوْا أنَّ اصطفافَ الطير، وقبْض أجنحتهن ما يمسكهن إلّا اللهُ"، وتُقَدَّرُ الجملة من واقع ما بعد الأداة الثانية من جملة؛ لأنّ التقدير سيكون على نقيضه، وعكسه، وفي قوله تعالى :" إلى الطير" عارضٌ بالزيادة في الحرف(إلى)، والأصل: "أولم يروا الطير صافاتٍ، وقابضات"، وفيه لون من الحث، والحض على الرؤية والقدرة الربانية، حيث يكون هناك طيرٌ صغيرُ الحجمِ، ولكنه يطير في صفحة السماء، ولا يقع، يَصُفُّ جَنَاحَيْهِ، ويقبضه بكلِّ هدوءٍ، ودون أن يقعَ، فيموت؛ لأنّ الذي يُمْسِكُهُ هو الله، بقدرته، وقوته، وهيمنته على كونه.

وفي قوله: فوقهم" عارضٌ بالحذف؛ حيث حُذِفَ متعلقُ الظرف، والتقدير: " مستقرات فوقهم، أو محلِّقات صافات فوقهم، أو ناشرات أجنحتها، شارعاتٌ إياها في جو السماء، تطير أنَّى شاءت، وفي أي مكان، وارتفاع أرادت".

(١) راجع: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٣٦-٣٧، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش، ١٠/ ١٥٧-١٥٨، والجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي ، ٢١/ ١٢٧-١٢٨.

وفي قولـه:" ويقبضـن" عـارضٌ بالحـذف في المفعـول:" أي ويقبضـن أجنحتهـن التـي صَفَفْنَهَـا، ثـم قَبَضْنَهَـا، وهكـذا طيلـة الطـيران، ورغـم أنهـا ضعيفـة إلّا أنّهـا تفعـل مـا لا يمكـن أن يفعلـه الإنسـانُ، وذلـك بقـدرة الله وحـده.

وقـد حُـذِفَ لبيـان السـياق، وتفاعُـل القـارئ، وتصـوُّره مـن الـذي يقبـض ويصـفُّ، ثـم يقبـض، ويبسـط في كلِّ مـرة لتلـك الطيـورِ في جـوِّ السـماءِ كلِّـه.

والآيـة كنايـة عـن سـعة العطـاء الإلهـي، ومـدى رحمتـه بـمَا ومَـنْ يخلـق، فالطـير عـلى صغرهـا، وضعـف جسـدها، تطـير في أجـواء السـماء، وعـلى ارتفاعـاتٍ كبـيرة، ولا تخشـى شـيئًا، والإنسـانُ لا يـكاد يتنفسُ بصـورة صحيحـة إذا عـلا بعـضَ أمتـار في الجـوِّ، ويظـلُّ وَجِـلًا هلِعًـا حتـى ينـزل.

وفي قولـه: "مـا يمسـكهن..." عـارضٌ بالحـذف للعلـم بـه مـن السـياق؛ إذ التقديـر :"مـا يمسـكهن مـن الوقـوع، وسرعـة الهبـوط مـن أعـالي السـماء إلا الله"، واسـم الجلالـة أُخِّـرَ وجوبًـا للحصر، وقُـدِّمَ المفعـولُ به:(هـن) وجوبًـا لكونـه ضميـرًا متصـلا، والفاعـل اسـما ظاهـرا؛ وذلـك للتشـويق إلى معرفـة مَـنْ يمسـكهن بهـذا الشـكلِ المعجِـز، وللتعجيـلِ بذكْـرِ الممسـوكِ؛ لبيـان طلاقـة القـدرة الإلهيـة في كل تلـك العمليـة الربانيـة، الكبـيرة، المذهلـة حقـا.

وجـيء هنـا بـ(الرحمـن)؛ لأنّ السـياق فِعْـلا، وحَقًّـا سـياقُ رحمـة، وسـياقُ امتنـانٍ، وسـياقُ عطـاءٍ، وجمـال، وحنـان، وكـمال، فالاسـمُ الكريـمُ هـو الـذي يُعطِـي النعمـة كمالَهـا، وجلالَهـا، ويبـيِّن حجمَهـا، وكِبَرَهَـا، ومـدى المنـة، والنعمـة فيهـا.

وفي قولـه:" إنّـه بـكل شيء بصـير" فيـه عـارض بالتقديـم في شـبه الجملـة (بـكل شيء) حيـث إنّهـا تتعلـق بالخـبر، والأصـل التأخـير، أي إنّـه بصـير بـكل شيء، ولكـن التقديـم عجـل بإيضـاح القـدرة، وأوقفنـا عـلى سـعة المقـدرة، والهيمنـة، ومـدى اتسـاع النعمـة، واستعمال الصفـة (بصـير) هـي الأنسـب والأوقـع لأنهـا أمـور مرئيـة، والبـصر فيهـا يعنـي تفقدهـا، ورقابتهـا، وحسـن النظـر إليهـا، فـكل أسـماء الله وصفاتـه متناغمـة متماشـية مـع

سياقاتها الجليلة

والتذييل كنايةٌ عن سَعة القدرة حيث تشمل كل شيء في كون الله، لا يشذ شيء عن بصر الله ورؤيته، والتنكير في (شيء)، واستعمال لفظ (كل) الدال على الشمول، كل ذلك يرشح ويقوي الكمال الرباني، والسيطرة التامة على كل صغير وكبير في كون الله- جل جلاله-، ليس الطير وحركته فقط.

وهنا عارض الحمل على المعنى في (بكل شيء) ، حيث حمل الباء على معنى (مع) المعية والاصطحاب، كأنّ معية الله تصطحب كل شيء، فيطمئن في البر والبحر والجو، فيستقر قلبا وقالبا، والمعية نعمة النعم، ومنة المنن؛ حيث تستشعر الكائنات جميعًا معية الله، واصطحابَه لها في كل زمان ومكان، وهو أمر يجعلها تعيش بأمان واستقرار من غير فزع، ووجل.

وتساءل الزمخشري :لم قال صافات، ويقبضن، ولم يقل: "وقابضات"؟

وأجاب بأنّ "الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء مد الأطراف وبسطها، وأمّا القبض فطرئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح"[1].

عوارض التركيب في الآية العشرين ودلالاتها:

" أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠)".

ثم تسترسل الآية التالية مُعدِّدَةً نِعَمَ الله على خلقه، فمن الطير، وما بها من نِعَمٍ، إلى البشر، وما وُضِعَ لهم من مِنَنٍ، ثم هو عتاب للكفار الذين اغتروا بقدرتهم

(١) الكشاف ، ١١٢٧، وراجع: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٣٧-٣٩، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٥٨-١٥٩، والجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي ، ٢١/ ١٢٨-١٢٩، والمفردات في غريب اللغة للأصبهاني مادة قبض ، ٣٩١.

التي أعطاها الله إياهم، وراحوا يتكبرون في كونِ الله مغترين بإمكاناتهم، وطاقاتهم المخلوقة لهم من الله، ففي قوله تعالى :"أم من هذا الذي..." عارضٌ بالحذف؛ حيث إنّ التقدير:" أم من هذا الشخص، أو الفرد، أو الإنسان القوي الذي هو جندٌ..."، فهو استفهامٌ يحمل معنى العتاب، والتهكم، فهو عارضٌ للحمل على المعنى، فليس السؤال هنا حقيقيًّا بقدر ما هو تهكُّمِيٌّ عتابيٌّ لَمَنْ هؤلاءِ سلوكُهم، ودَيْدُنُهم، وقد حُذِفَ لأنه أحقر من أن يُذكَر، فغاب عن الذِّكْر؛ لأنه غائبٌ في نظر السماء، لا وزنَ له، ولا ظهورَ، ولا مكانَ، ولا رؤيةَ تمامًا كما حُذِفَ صاحبُها، والعائد عليه الاسم الموصول، وتلك من سماتِ القرآنِ الكريمِ، حيث يختار القاعدةَ النحويةَ والصرفيةَ التي تُبْرِزُ الدلالةَ، وتوضِّح المقصودَ، ومَنْ لديه إدراكٌ لطبيعة القواعدِ اللغوية: نحوها، وصرفها، ومعجمها يُدرِك ذلك جيدًا، ويتيهُ من الفرحة، والوصولِ إلى تلك الدقائق اللغوية الدلالية القرآنية.

وفي قوله:" جندٌ لكم" عارضٌ بالحذف حيث حُذِفَ متعلقُ شبه الجملة، والتقدير:" هو جندٌ تابعٌ لكم، أو مدافعٌ لكم، أو محامٍ لكم، أو نحوها من أعمال الجند، والعسكر المدافعين عن الأهل، والتابعين، وقد حُذِفَ المتعلقُ لتذهب النفسُ في فعله، وتفانيه كلَّ مذهب، وصُوَرِ دفاعِهِ كلَّ متصور.

وفيه مزيد تهكم، وواسع عتاب لهؤلاء ؛ حيث إنّ الأرض جميعا في قبضة الله، يمكن نسفها بكل جنودها في لا زمن(كن فيكون)، ولكن البشر لا يدركون كنه وطبيعة القدرة الإلهية، فيذهبون بعيدا في غرورهم، ويستمرون في غبائهم، وبعدهم عن الحقيقة الدقيقة لقدرة الله، وهيمنته.

في قوله:" ينصركم من دون الرحمن" عارض بالحذف ، والتقدير ينصركم في حربكم، أو سجالكم، أو معركتكم، أو في شؤون حياتكم، وقد حذفت لتستوعب كل أقضيات الحياة، ومتطلباتها التي تستدعي جنودا حاضرين في كل حين، وفي قوله:" من دون الله" عارض بالحذف أيضا، والتقدير ينصركم وحده غير مستعين بالله، أو غير مستند

إلى مولاه، وفي الاية استبعاد تام، وتعجيز أن ينصروا بغير عون الله، ومساعدته، مهما كان النصير لهم، والظهير، لابد أن يفتقروا إلى عون الله، ومساندته، والواقع يؤيد ذلك، ويؤكده، فلا مخلوق مهما كان يمكنه الاستغناء عن خالقه، أو الانتصار دون مساندة الرحمن- جل جلاله، وتوالي نِعَمُهُ، وآلاؤه.

وفي (الرحمن) عارض بالحذف إن اعتبرناه صفة لا اسما، والتقدير من الله الرحمن، أو من ربه الرحمن، أو من مولاه الرحمن، ومجيء صفة الرحمن هنا مناسبٌ جدًّا لطبيعة ما سِيقَتْ له، وجاءتْ لأجله.

وفي قوله: "إنْ الكافرون إلّا في غرور" جملة عوارض، منها عارض الحمل على المعنى، أو التضمين؛ حيث حُمِلَتْ (إنْ) ساكنةُ النون على (ما) النافية، فكان أسلوب القصر، والحصر، أيْ "ما الكافرون إلّا في غرور"، والعارض الثاني عارضٌ بالحذف، والتقدير :" وما سلوكُ وصنيعُ وعملُ وفعلُ الكافرين إلّا في غرور"، فعبر عنهم جميعًا، وهو من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته الكلية، فالكافر: سلوكًا، وصنعًا، وتعاملا، وأخذا وَرَدًّا في غرورٍ، والعارض الثالث عارضُ بالحذف في متعلق شبه الجملة:(في غرور) الذي هو الخبر، والتقدير:" وما سلوك الكافرين إلّا مستقرٌّ في غرور، ومتشرنِقٌ في كبر، ولا رصيد له من واقع صحيح، ولا رؤية له سليمة إلّا أنّه داخلٌ، ومنغلقٌ على نفسه، ويترشح المعنى بظرفية الحرف: (في) ، فكأنّه منظرفٌ في الغرور، لا يَرَى الواقعَ، ولا ينظر إلى قدرة الله، وقد ضمَّه الغرورُ، وأغلق عليه ناظريْه، فصار لا يَرَى شيئًا أمامه بسبب انظرافه في صَلَفِهِ، وعيْشه في جلبابِ غروره، واستغشائه ثوبَ الغرور، فلا يرى قدرةً ربانيةً، ولا يعي مقدرةً ألوهيةً، ولا يفهم هيمنةً أزليةً بسبب انغلاق عقله، وضياع ذهنه، وتضييع فكره.

والتعبير ب"إن وإلا" يُوحِي بتأكيد ضعفه، واهتراء فكره، فهو محصورٌ في الغرور، مقيَّدٌ به، لا ينفكُّ عنه، ولا يمكنه الهربُ منه.

والآية كلها كنايةٌ عن ضعفِ الكافرين، وعدمِ بصيرة غير المؤمنين، والتعبير بالجملة

الاسمية مؤكِّدٌ، كما إنّ استعمال (إن) وإلا) يزيد التأكيد تأكيدًا، فقد اجتمع مؤكدان: الجملة الاسمية التي تفيد ثبات الحكم، واستمراره، وأسلوب النفي، والإثبات (أي أسلوب القصر) المفيد للتأكيد، والحصر.

والتقدير:" وما سلوك وصنيع وتعامل الكافرين إلا مستقرا متعمقا في الغرور، منسدا ومنغلقا في الكبر، قد دفنه غروره، وأغلق عليه وسائل السمع والبصر، فهو رهن الغباء، وحبيس الكبر، وسجين الغرور"(١).

عوارض التركيب في الآية الحادية والعشرين ودلالاتها:

" أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) ".

في قوله- تعالى: أم من هذا الذي..." عارضٌ بالحذف، حيث حُذِفَ الموصوفُ؛ اجتزاءً، واكتفاءً بالصفة، والتقدير: أم من هذا الإنسان، أو الشخص، أو المخلوق الذي..."، وقد حُذِفَ لصغره، وعدمِ وزنِهِ أمام عطاءاتِ الله، وخَفِيَ؛ لأنّه لا يُرَى لله المُعطِي، المتفضِّلُ، فكأن حذف الموصوف قاعديًّا أدَّى الدلالة القرآنية، فمع مَنْ هو متخصِّص في اللغة، وقواعدها يمكنه فهمُ الدلالةِ العميقةِ للفظ، ولا يقفُ عند الدلالة السطحية للكلمة، وعطائها الأول، وإنما يغوص لفهم البنية العميقة لها.

وفي قوله: "يرزقكم" عارضٌ بالحذف في المفعول به الثاني؛ لأنّ الفعل رزق من أخوات أعطى، يتعدى إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، والتقدير: يرزقكم الخير، والنعم والفضل والعطاء، وحذف المفعول به الثاني لتتوسع دائرة الرزق، ويأخذ منها كل واحد ما يرغب فيه، ويطلبه، وحتى تستوعب حاجات البشر ومتطلباتهم من ربهم جل جلاله ، وعز كماله.

وفي قوله:" إن أمسك رزقه" عارضٌ بالحذف في جملة جواب الشرط، دل عليه المتقدم،

(١) راجع : تفسير الجلالين الميسر ، ٥٦٣، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٥٨-١٥٩، والتبيان للعكبري القسم الثاني ، ١٢٣٣، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩ / ٤٠-٤١.

وليس المتقدم دليل الجواب؛ لأنّ حرف الشرط لا يعمل في الجواب متقدما، إنّما يكون المتقدم دليله، والمشير إليه لا أصل الجواب، والتقدير: "إن أمسك الله رزقه فمن في استطاعته أن يرزقكم"؟، وهو استفهام للاستحالة، والتعجيز؛ لأنّه لا أحد من البشر يرزق أحدا، إنّما الرزاق هو الله وحده جل جلاله ، وتقدست أفعاله.

وإمساكُ الرزقِ كنايةٌ عن منعه ، وعدمِ إرساله؛ ومن ثَمَّ فالمخلوق سيموت، ولا يمكن أن يعيشَ إذا مَنَعَ اللهُ عنه رِفْدَه، وعطاءَه؛ لأنّ عطاءَه هو العطاءُ، ومنعَه هو المنعُ، ولا أحدَ غيرَ الله يمكنه العطاءُ، والمنعُ.

وفيها كذلك عارضٌ بالحذف؛ إذ التقدير:" إنْ أمسك رزقه عنكم"، فحذف شبه الجملة؛ لوضوح السياق، وأنّ الإمساكَ سيكون عنهم، ويُمنَعونَ منه.

ولا شك أنّ هناك جملا حذفت هنا، وتقديرها :" ولكنهم يتجرؤون، ويبتعدون، ويُشعرون أنفسهم بأنّ هناك من يرزقهم، ومضوا في غيهم سادرين" بدليل قوله تعالى :" بل لجوا في عتو ونفور"، وهو كناية عن صلفهم، وانغلاق عقولهم، وضعف اعتقادهم، وهشاشة إيمانهم، حيث لجوا، أي دخلوا لجج وطين عتوهم، ونفورهم بعيدا في اعتقادهم، وفي قوله : "في عتو ونفور" عارض بالحذف، وهو الحال المتعلق بها شبه الجملة :" في عتو ونفور"، والتقدير بل لجوا سادرين ماضين في عتو ونفور، وراحوا هاربين مبتعدين في ظلم وفي هروب، وقد حذف متعلق شبه الجملة؛ لإطلاق تصورعتوهم، وسبل نفورهم على اختلاف العتو وطرائق النفور، وسبل البعد عن الله ظلما وضعفا منهم.

وفي القاموس المحيط: (ع ت و) يقول:" عتا عتوا... استكبر وجاوز الحد، فهو عاتٍ وعَتِيٌّ" أ. هـ، وفي معجم مفردات اللغة: مادة (ع ت و) قال:" العتو التنبؤ عن الطاعة، يقال: "عتا يعتو عتوا وعتيا: أي مضى إلى حالة لا سبيل إلى إصلاحها، ومداواتها"

أ. هـ[1].

والآية تجادلهم بالحسنى، وتبيِّن لهم بالعقل خطورةَ ما هم عليه، ومآلَهم المحتوم، وتوضِّح لهم ضعفَ إيمانِهم، وقلةَ اتصالِهم بربهم، ومولاهم.

عوارض التركيب في الآية الثانية والعشرين ودلالاتها:

" أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) ".

وفي قوله أفمن..." عارضٌ بالحذف بين الهمزة، والفاء، فهناك جملة محذوفة بين الأداتيْن، والتقدير:" أفجهلتم، وما عرفتم التوازن في الأمر؟"، وهي من سماتِ الكتابِ العزيزِ؛ حيث يجمع بين أداتيْن بينهما جملة محذوفة، تُعلَم، وتُقَدَّرُ من السياق، وقد أشرتُ إلى ذلك سلفًا في محله من الآيات السابقة، والاستفهامُ هنا للتقرير، وسَكْبِ الدلالة الإيمانية، والعقدية في القلب، والروح، والعقل، والضمير، والذات، والنفس.

و "مكبًّا" حالٌ منصوبة، وهي كناية عن اهتراء الفكر، وذهاب العقل؛ حيث يمشي المرءُ على وجهه، لا على قدميه، لا يمشي سويًّا على قدميه، ويمضي على صراط مستقيم بدل تلك الصُّرُطِ المقلوبة التي لا تؤدِّي إلّا إلى الهلاك، والدمار، وتُظهِره بلا عقل، ولا فهم صحيح لأصول المَشْيِ.

وفي قوله: "على وجهه" عارضٌ بالحذف، والتقدير: "منقلبًا على وجهه، أو ماضيًا على وجهه، أو ماشيًا مُكِبًّا على وجهه"، وقد تكون اسمَ مصدر نائبًا عن فعله، فهو نائبٌ عن المفعول المطلق، ونيابتُه هي اسمُ المصدر، والمصدر الأصلي هو انكبابًا، أو صفته، ويكون الأصل يمشي مشيًا مُكِبًّا، فحذف "مشيًا"، وأبقى صفتها، وفي حذفه إطلاقٌ لتصوُّر المشي غير المعتدل، ولا المستقيم، والمشي الخائب غيرِ الصائب، المعوَجِّ

(١) راجع: معالم التنزيل للبغوي، ٨/ ١٧٩-١٨٠، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش، ١٠/ ١٥٨-١٥٩، القاموس المحيط (ع ت و)، ١٠٥٠، والمفردات في غريب اللغة للأصبهاني مادة (ع ت و)، ٣٢١، تفسير الكشاف للزمخشري، ١١٢٧.

غيرِ القائم.

وفي تفسيره، يقول البغوي: "مكبا: أي راكبا رأسه في الضلالة والجهالة، أعمى القلب، والعين، لا يبصر يمينا ولا شمالا، وهو الكافر"، ونقل عن قتادة: أنّه قال: أكب على المعاصي في الدنيا، فحشره الله على وجهه يوم القيامة"، فهي عنده كناية عن موصوف، هو الكافر، كما أنّها كناية عن صفة، هي انغلاق العقل، وعطنه، وضعف الاعتقاد، واهترائه.

وفي قوله: "أم من يمشي سويا على صراط مستقيم" عارض بالحذف ، تقديره أم من يمشي مثل مشيَ رجلٍ سويٍّ، معتدلٍ، يمشي على صراط مستقيم، فيصل إلى غايته، وهدفه من أسرع طريق، وأحسن سبيل.

وقال الراغب في مفرداته في مادة (س و ي):"... والسوي يقال فيما يصان عن الإفراط والتفريط من حيث القدر والكيفية...، ورجل سوي: استوت أخلاقه، وخِلْقَتُهُ عن الإفراط والتفريط..." أ. هـ

وفي :"سويا" عارضٌ بالحذف، والتقدير :"مشيا سويا"، فاكتُفِيَ بالصفة عن الموصوف، وتعرب كذلك حالا، وهي كنايةٌ عن استقامة الفكر، واستنارة العقل، وصَحْوِ الضمير، وفي قوله: "على صراط مستقيم" عارضٌ بالحذف كذلك، حيث حُذِفَ متعلقُ شبه الجملة: (على صراط مستقيم)، وتقديره:" مستقرا، وحاصلا، وثابتا، ومعتدلا على صراط مستقيم"، وفي "مستقيم" استعارة مكنية؛ حيث شبَّه "الصراط" برجل له عقلٌ يفكِّر به تفكيرا سليما ومستقيما، وكأنّ الصراط قد عقل رسالته، وأدرك مهمته، فهو عاقل، يعرف الاستقامة، ويُدْرِكُ الصلاح، ويفهم اعتدال الطريق، ويرى الغاية، ويسعى لها بكل نورٍ، ويقينٍ، وثباتٍ مبينٍ.

والاستفهامُ في كلِّ الآية للإقرار، وتمكين الدلالة في العقل، والروح، والذات، والضمير، ولتبصير صاحبها بأصول السير في الحياة على بَيِّنَةٍ، ونور، وثبات،

واطمئنان، وحُبُور[1].

عوارض التركيب في الآية الثالثة والعشرين ودلالاتها:

" قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٢٣) ".

في قوله تعالى :" هو الذي..." عارضٌ بالحذف- كما أكَّدْنَا ذلك سابقًا-، والتقدير:" هو الله الذي أنشاكم..."، وحذف الموصوف اكتفاء بالصفة، ولأنّ المؤمن يعلم من له حق الإنشاء والجعل، والخلق، والعطاء، والفضل، والفعل أنشأ فعل تام متعد إلى مفعول واحد، وليس من أفعال الشروع، كقولك:" أنشأت أخطب، أو أنشأت أعمل"، وإنّما هو بمعنى خلقكم، وفي قوله - تعالى-:" وجعل لكم السمع والأبصار..." عارض بالتقديم لمتعلق المفعول به الثاني؛ لأنّ الفعل "جعل" إن كان بمعنى(خلق) فيتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ، ويكون الشبهُ متعلقًا بحال محذوفة، والمعنى :"جعل السمع مستقرا، وثابتا، ومخلوقا لكم"، وإن جعلتها بمعنى :"صَيَّرَ، وغيَّرَ"، فتكون من أخواتِ "ظنَّ"، وتنصب مفعولين، وعندئذ يكون الشبهُ متعلقًا بمحذوف هو المفعول الثاني للفعل: "جعل"، والمعنى :"جعل السمع مخلوقا لكم، ومجبولين عليه، وثابتًا، ومستقرًّا لكم"، وحُذِفَ متعلقُ شبه الجملة؛ ليتصور كلٌّ منَّا فضلَ اللهِ عليه، ويُقَدِّره بحسب حُبِّهِ، واتصاله بربه، وتعلقه بمولاه، وخالقه.

وفي قوله:" قليلا ما تشكرون" عارضان بالحذف؛ العارض الأول في قوله: (قليلا)، وهو صفة لموصوف محذوف، معلوم من الفعل(تشكرون)، أي "تشكرون شكرا قليلا"، وحذف للعلم به، ولكونه لونا من ألوان العتاب لأمثال هؤلاء، وهو نفسه عارض بالتقديم؛ إذ الأصل أن يتأخر المعمول عن العامل، أي يكون:" تشكرون الله شكرا قليلا"، لكن قدمه للإشعار بالحسرة والخجل، والحياء من هذا الفعل الدنيء، حيث يقدم المرء الشكر القليل لله على نعمه الكثيرة، وآلائه الوفيرة، فقدَّمه لنشعرَ

(١) راجع: معالم التنزيل للبغوي ، ٨/ ١٧٩-١٨٠ ، وإعراب القرآن للدرويش ، ١٠/ ١٥٨-١٥٩، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٤٤-٤٥،المفردات في غريب القرآن مادة (س و ي) ، ٢٥٢، والبحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٢٩.

بحجمِ الخزي، والعتابِ الكبيرِ.

وعارضُ الحذفِ الثاني في قوله: (تشكرون)؛ حيث حُذِفَ مفعولُ الفعل (تشكرون)، والتقدير: "تشكرون الله"، أو "تشكرونه"، وحُذِفَ؛ لبيان أنّهم لا يشكرون الله، ولا نعمَه، ولا مَنْ أمره الله بإنزال تلك النعمِ عليهم من ملائكته، ومَنْ يرسلهم بالخيرات، والأرزاق لتوزيعِها على المخلوقين.

وتُرِكَ المفعولُ هنا؛ لتتصور النفسُ في طرائق الشكر كلَّ متصور، وفي ألوان الحمد، وصورِ الإقرار، والإخبات بالفضل لله بكلِّ أسمائِهِ، وصفاتِهِ.

وفي تفسير الجلالين الميسر قال: " قليلا ما تشكرون: (ما) مزيدة، والجملة مستأنفة، مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم" أ. هـ، فجعلها من قبيل عارض الزيادة في(ما)، ويمكن اعتبارها موصولة بمعنى الذي، ويكون المعنى: قليلا الذي تشكرونه، وتؤدون حقه، وهذا دأبهم لأنّ (قليلا) صفة مشبهة، تفيد ثبات الصفة واستمرارها، على أنّها عند الدرويش ظرفا متعلقا بالفعل(تشكرون)، أي زمن شكركم قليل جدا لا يتناسب مطلقا مع نعم الله، وسعة عطائه الدائم في دنياكم.

أو" قليل منكم الشاكرُ"- كما ذهب إليه السعدي في تفسيره-، وعند القرطبي في تفسيره ذهب إلى أنّ معناه معنى(قلما) يفيد نفي العمل، قال: "أي لا تشكرون هذه النعم، ولا توحدون الله تعالى ، تقول: قلَّما أفعلُ كذا، أي لا أفعله" أ. هـ ، وعند أبي حيان في البحر المحيط قال:"قليلا: نعت لمصدر محذوف، و(ما) زائدة ، و(تشكرون) مستأنف، أو حال مقدرة، أي تشكرون شكرا قليلا " أ.هـ[1].

عوارض التركيب في الآية الرابعة والعشرين ودلالاتها:

" قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ".

(١) تفسير الجلالين الميسر ، ٥٦٣، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٦٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٨٧٧- ٨٧٨، والجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٢١/ ١٣٠، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٤٦-٤٧ ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠ / ٢٢٩.

في قوله- تعالى-:" هو الذي.." عارضٌ بالحذف سَبَقَ أنْ بيَّنَّاه، والتقدير: "هو الله الذي..."، وقد وقر القرآن الكريم متبعيه، والمؤمنين به؛ حيث قبل منهم إقراراهم، وحذفه ليسعد قلوبهم بالقبول، والرضا، والتوقير.

وفي قوله:" في الأرض" فيه عارضٌ بالحذف، حيث حُذِفَ متعلقُ شبه الجملة، وهو الحال، والتقدير:" ذرأكم مستقرين في الأرض، مرزوقين فيها، مُكَرَّمِينَ فيها، وقد حَذَفَهُ؛ لتذهب النفسُ في مفهومه كلَّ مذهب، وتنال منه كلُّ نفسٍ ما تهواه من المشرب، والمتخيَّل، والمتصوَّرِ.

قال الراغب في مفرداته:"... الذَّرْءُ إظهار الله تعالى ما أبداه، يقال: ذرأ الله الخلقَ أي أوجد أشخاصهم..."(١).

وفي قوله:" وإليه تحشرون" فيه عارضان؛ الأول عارض التقديم، حيث قدم شبه الجملة (إليه) على عامله، وهو الفعل(يحشرون)، وقدمه للتعجيل بالبشرى؛ حيث إنّ الحشر إلى الله هو غاية المنى، ومقصد المقاصد، وأمل الآمال، وهدف الأهداف، ومصدر كل سعادة، وفرحة.

والعارض الثاني هو عارضٌ بالحذف؛ حيث حُذِفَ الفاعلُ، وناب عنه المفعولُ، فتحول إلى واو الجماعة، نائبِ فاعل، والأصل: "يحشركم الله إليه"، وقد بُنِيَ الفعلُ لما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ للعلم بمَنْ له حقُّ الحشر، وإدراكِ مَنْ إليه المصيرُ، والمرجعُ، ومَنْ يملك حقَّ المآل، وفيه تقديرٌ لكلِّ مؤمنٍ.

وبناءُ الفعلِ لما لم يُسَمَّ فاعلُه هو لونٌ من ألوانِ تكريمِ إيمانِ المؤمنِ بقبولِ علمه، وتقدير إدراكه، وهو من الله تطمين، وتكريم، وإعلاء من قدر الإيمان، ومكانة المؤمنين، وإقرار لهم بما علموه، وأتقنوه، واعتقدوه في ربهم(٢).

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني مادة: ذ ر أ، ١٧٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٨٧٨، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان، ١٠/ ٢٢٩.

(٢) راجع: معالم التنزيل للبغوي، ٨/ ١٨٠، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ٢٩/ ٤٨.

عوارض التركيب في الآية الخامسة والعشرين ودلالاتها:

" وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) ".

في قوله تعالى :" متى هذا الوعد؟" عارضٌ بالتقديم؛ حيث قدم الخبر وجوبا؛ لكونه من ألفاظ الصدارة:(اسم استفهام)، وقدَّمه؛ لبيان استعجالهم، أو استبطائهم ليوم القيامة، واجترائهم عليه؛ حيث يشكون في ذلك، فحكى القرآن الكريم قولهم، وكأنّ الرسول يعلمه، وأخفاه عنهم، وفي جملة: "إن كنتم صادقين" عارضٌ بالحذف، حيث حُذِفَ جوابُ الشرط، واكتُفِيَ بتقديم دليله، والتقدير: "إن كنتم صادقين فأخبرونا متى هذا الوعد؟". وفيه نوعٌ من الاستهزاء باليوم الآخر من هؤلاء المجترئين، المترخصين في سؤالهم عن أخطر يوم في عُمُرِ هذا الكونِ الكبيرِ، وهو يوم القيامة الذي نعمل له ألفَ ألفَ حسابٍ، ونخاف منه خوفًا فيه هلعٌ، ووجلٌ، وارتعابٌ أيُّ ارتعاب![1].

عوارض التركيب في الآية السادسة والعشرين ودلالاتها:

" قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) ".

في قوله: "العلمُ عندَ اللهِ" عارضٌ بالحذف للخبر الذي تعلق به شبه الجملة: "عند الله"، والتقديرُ: إنّما العلم مستقرٌّ عند الله، وثابتٌ ومتواصلٌ، وسرمديٌّ عند الله"، والإضافة للتشريف، فالعلم من عند الله، وهو العلم الحقيقي، الكامل، الشامل، وهو كناية عن شمولِه، وجلالِه وكمالِه، وتمامِ موضوعاتِه، ودلائلِ حدوثِها، وبيانٍ كاملٍ بها.

وفي قوله: "إنّما أنا نذير" عارضٌ بالحذف، والتقدير: "إنّما أنا نبي ورسول نذير، وحذف الموصوف اكتفاء بالصفة، وجاء وصف النذارة مقدما ؛ لأنّ الدين مبني على النذارة، والبشارة، والنذارة أولا ليرتدع البشر، ويقفوا عند حدٍّ، ولا يتمادوا في غيهم،

(١) راجع إعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٦١،وتفسير التحرير والتنوير ، ٢٩ / ٤٧-٤٨، وتفسير القرطبي ، ٢١/ ١٣١.

وضلالهم، وفُجْرهم، وكِبْرهم.

ويمكن أن نَعُدَّ كلمة (مبين) خبرًا لـ"أنا" المحذوف، أي "أنا نذير"، و"أنا مبين"، أو من قبيل الخبر المتعدد لمبتدأ واحدٍ، وهو بيانٌ لرسالة النبي -صلى الله عليه، وسلم-، وتوضيح لمهمته، وإدراكٌ لوظيفته، وفيه كشفٌ عن الهدف من إرساله، والهدف من مبعثه[1].

عوارض التركيب في الآية السابعة والعشرين ودلالاتها:

" فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) ".

في قوله: "سيئت" عارضٌ بالحذف؛ لأنّه مبني لما لم يُسَمَّ فاعلُه، أي أساءها الله، وخيَّبها، وأبداها حاسرةً، خاسرةً، قد أصابها السوءُ، والخزيُ.

وفي قول: "الذين..." عارض بالحذف، والتقدير: "سيئت وجوه الرجال، أو وجوه الأشخاص، والبشر"، وقد حذف الموصوف لأنّه لا وزن لهم، ولا يراهم الله من حقارتهم، فتلاقى الحذف النحوي مع الحذف البشري لبيان أنّهم محتقرون، صاغرون، أذلاء، لا يُرَوْنَ ولا وجود لهم، ولا وزن لهم.

وفي (الذين كفروا) عارض بالحذف في متعلق الفعل: "كفروا"، والتقدير: (كفروا بربهم وبيومه الآخر، وبكل ما أنزله)، وهو حذف وسع من طرائق كفرهم، وأنواع فجرهم، وأصناف صلفهم، وكبرهم.

وفي قوله: "وقيل..." فيه عارضٌ بالحذف؛ حيث بُنِيَ الفعلُ لما لم يُسَمَّ فاعلُه، والأصلُ:" وقال الله، أو ملائكته، أو من يأمرهم الله بالقول"، وقد حُذِفَ؛ لكثرة مَنْ قال، ولتعدُّد جِهَاتِهِ، وفي قوله: "هذا الذي..."، عارضٌ بالحذف؛ حيث حُذِفَ موصوفُ اسمِ الموصولِ؛ اكتفاءً به، وتقديره: "هذا الوعد الذي"، وقد حُذِفَ

(١) راجع: إعراب القرآن وبيانه للدرويش، ١٠/ ١٦١، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ٢٩/ ٤٩-٥٠، وتفسير الجلالين الميسر، ٥٦٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٨٧٨.

للتعجيل بذكره، والإشارة السريعة له؛ لإخافتهم ووجلهم، وحصول إرعابهم، وإخافتهم؛ لعلهم إلى ربه يؤوبون، ويرجعون.

وفي قوله: "ما كنتم به تَدَّعُونَ" فيه عارضٌ بالتقديم في (به) حيث عجَّل شبه الجملة: (به) والتقديم هنا للعتاب، والتهكُّم بهم، وبيانِ أنّهم كانوا به يزعمون، ويدَّعون، ويكذبون، وهو يوم القيامةِ يومُ الرعب، والوجل، ويومُ الخوف، والبكاء، ويومُ الجائزة لكل مؤمن مُقِرٍّ به ، معترفٍ، عاملٍ له، مستعد لأحداثه، متخيل لطوله، متأكدا من حصوله، وما فيه من أمورٍ.

والتقديم يبيِّن لهم عمقَ ما ارتكبوه في التكذيب لهذا اليوم، ولمجيئه، والسخرية منه، فالآن يتجرَّعون ويلاتِ كذبِهم، وخيباتِ ادِّعائِهِمْ.

والإشارة فيها تبكيت وتحقير، وتهكُّم بصنيعهم، وهم يَرَوْنَ اليوم ناطقًا وشاهدًا، ويرون أحداثَه الرهيبة، الرعيبة، التي تذيبُ العظام، وتزهقُ الأرواح، وتجعلُ العقل في ذهابٍ، والقلبَ في خوف، ووجل، وارتِعَاب[1].

عوارض التركيب في الآية الثامنة والعشرين ودلالاتها:

" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨)".

في قوله: "أرأيتم" في عارضٌ بالحذف، والتقدير:" أرأيتم هذا الآتي بعد"، وهو (من أول : جملة إن أهلكني.. حتى قوله: "...أليم"، ولكنه لما كان معلومًا من السياق حُذِفَ، ولكنه قول متصور، و(رأى) هنا بمعنى علم، وليست الرؤية البصرية، وقد تكون (رأى) هنا العلمية ، أو العقلية على أن تقوم جملة الشرط وجوابها مقام المفعولين، والاستفهام هنا للإقرار والتمكين، وغرْس الدلالة القرآنية، وفي قوله تعالى:"أهلكني الله" عارضٌ بالتقديم؛ حيث تقدَّم المفعولُ به، وهو ياءُ المتكلم

(١) راجع: إعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٦٢-١٦٣ ،وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠ / ٢٢٩، وتفسير التحرير والتنوير ، ٢٩ / ٤٩-٥٠.

وجوبا، وتأخَّر الفاعل، وهو اسم الجلالة: (الله) وجوبًا؛ لكونه اسمًا ظاهرًا، ولكون المفعولِ به ضميرًا متصلًا، وقد تقدَّم المفعول به؛ لبيانِ سرعةِ القدرةِ الإلهيةِ، ويسرِ الهلاكِ، والتعجيلِ به، وتأخَّر الفاعلُ؛ تشويقًا لمعرفته، وحصرًا له؛ لأنّ من يملك حقَّ الإهلاك، والنسف، والمَحْوِ من الوجود هو الله وحده جل جلاله ، فالتأخيرُ لونٌ من ألوانِ القصرِ، وهو يفيدُ- بلا شكٍّ- التقييدَ، والحصرَ، وفي قوله:" ومن معي" فيه عارض بالحذف؛ حيث حذف متعلق الظرف (معي)، والتقدير: " ومن استقرَّ، وكان، وخُلِقَ، ووُجِدَ، وقد حُذِفَ لتذهبَ النفسُ في مفهوم الهلاك كلَّ مذهب، ولتتخيل في معناه كلَّ متخيل، وهو كناية عن طلاقة القدرة، وسَعَةِ إهلاكها، واشتداد أخذها، وهيمنة وسرعة حدوثها، وقد فُتِحَتِ ياء المتكلم، والأصلُ فيها التسكينُ؛ لبيان مدى اعتراف الرسول ومَنْ معه بقدرة الله التي تحرك كلَّ ساكن، وتُسْكِنُ كلَّ متحرك، وتُغَيِّر كلَّ ثابتٍ، وتحوِّل كلَّ باق، ولها فعلُ ما أرادت؛ لأنّها مالكة، وصاحبة كل شيء في هذا الكون الواسع، الرحيب.

في قوله تعالى :"أو رحمنا" فيه عارض بالحذف في فاعل رحمنا، والتقدير :"أو رحمنا الله"، وقد حُذِفَ للعلم به من السياق قبله؛ ولأنّ كلَّ البشر يعرفونه، ويدركون مَنْ يمكنه أن يرحمَ، ويتجاوزَ، ويعفوَ، ويصفحَ.

وفي قوله: "من عذاب أليم" عارض بالحذف في متعلق شبه الجملة (من عذاب) الذي هو حال أو متعلق بالفعل: (يجير)، وتقديره:" فمن يجير الكافرين بأي حال من الأحوال من عذاب أليم، أو يجيرهم مستطيعا، متمكنا من عذاب أليم، وتنكير عذاب، وتنكير أليم يوحي بتنوع العذاب وتعدده، وتعدد الألم وثباته، وتنوع أصنافه، وتلون أطيافه، فهو عذاب غير متصور، وألمه غير متخيل، واستدامته متحققة، وألمه متواصل لا يمضي.

والاستفهام بالجملة الشرطية، كلها هو مقول قول في محل نصب، كناية عن وضع الإنسان في موضع تخيل رعيب، ومحل تصور رهيب لهذا العذاب الأليم غير الداخل

تحت ظن الإنسان، وغير المستوعَبِ له.

وهو تقابل دلالي يضعه بين ضدين كبيرين فوق إدراكه، وتصوره الحقيقي، وهذا التقابل يشي بقدرة الله إهلاكا ورحمة، ولا يملك ذلك إلّا الله.

وتُرِك الجوابُ في نهاية الآيةِ؛ لتعيش النفسُ مع تخيُّله، وتصوُّره حتى تجد الجوابَ الكافيَ الشافيَ الضافيَ في الآية التالية مستقرًّا، ثابتًا، وواضحًا، سريعًا[1].

عوارض التركيب في الآية التاسعة والعشرين ودلالاتها:

" قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) ".

وهنا عارض بالحذف قبل أن نحلِّل الآية، وتقديره: "إن أردتَ معرفة الجواب عاجلا، واسعا، وكاشفًا لك، واضحا، وسريعا، وشاملا فهو الرحمن - جل جلاله- آمنا به...".

وفي قوله: "هو الرحمن" عارض بالحذف في الموصوف اكتفاء بالصفة، والتقدير: "قل هو الله الرحمن"، وحذف لأنّ القارئ على علم به، وعدم نسيان له، وإدراك لجلاله في القلوب، وتشبُّع النفس المؤمنة بصفاته العلا.

وفي قوله:" آمنا به" عارض بالحذف في متعلق شبه الجملة(به)، أي آمنا حالة كون إيماننا، وتسليمنا به، واعتقادنا بجلاله، وارتكاننا على عظمته.

وفي قوله-:" وعليه توكلنا" عارض بالتقديم لشبه الجملة على فعله، وهو أسلوب قصر بتقديم ما حقه التأخير، أي وتوكلنا عليه، وقد قدم الشبه لبيان كامل الولاء لله، وشامل التوكل عليه، ولتوضيح أنه اعتقادا وشدة إيمان لا توكل إلا عليه، ولا تسليم إلا له، ولا اعتماد واستناد إلا له، وعليه

وفي قوله: "فستعلمون من هو في ضلال مبين"، هنا الفاء تفريعية أو فصيحة فهنا

(١) راجع: إعراب القرآن وبيانه للدرويش ، ١٠/ ١٦٢،وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٢٩-٢٣٠ ، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩ / ٤٩-٥٠، وتفسير القرطبي، ٢١/ ١٣١.

عارض بالحذف في الجملة الشرطية، وجاءت الفاء الواقعة في جواب الشرط دليلا عليه، ومشيرة إليه، والتقدير:" إن كنتم قد فهمتم ذلك، ووعيتموه، وفقهتموه، ووقفتُم عليه، فستعلمون من هو في ضلال مبين"، والسين للتأكيد، والوعيد العاجل الذي لا يأخذ وقتًا، ولا يتطلب زمنًا، على عكس: (سوف) التي تقتضي زمنًا، وتتطلب وقتًا كبيرًا.

وجملة: "من هو في ضلال مبين" مفعول تعلم بمعنى تعرف، أو سَدَّتْ مسد مفعولي: (تعلمون) إن جعلناها علمية عقلية، تَسُدُّ الجملة فيها مسد مفعوليها، وفي قوله:" في ضلال" فيها عارض بالحذف؛ حيث حُذِفّ متعلق شبه الجملة: (في ضلال)، والتقدير :"من هو مستقر داخل مظروف، متحول، متقحِّم، موجود في ضلالٍ مبين، بدليل حرف الجر: (في) الذي يفيد الظرفية، والتداخل، والإحاطة، فالضلال يحيط بهم، ويَظْرُفُهُمْ في أَتُونِهِ، ويجمعُهم في أطوائه، ويضمُّهم في جَنَبَاتِهِ، وهو محيط بهم، وهم داخلون، معجونون فيه ؛ من ضيقه، ومن كثرتهم، وتزاحمهم، وهو كناية عن شدته، وضخامته، وتعدُّده، وتنوُّعه.

واسم الفاعل: "مبين" يوضح أنّ الضلال فاهمٌ رسالتَه، مدركٌ وظيفتَه، مُلِمٌّ بهدفه، عالمٌ بمهمته، كأنه واحدٌ عاقلٌ يُبِينُ بلسانه عن نفسه، ويوضح سببَ ما أتي له، وما جاء لأجله، فهو كناية عن إدراكِهِ التامِّ لمهمته[1].

عوارض التركيب في الآية الثلاثين ودلالاتها:

" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠) ".

في قوله: "أرأيتم ..." عارض بالحذف، والتقدير: قل أرأيتم هذا المشهد الحاصل، وهذه المرئية الواردة"، وقد حذف لمعرفة السياق به ؛ ولأنّ القارئ يتخيله، ولا يذهب بعيد في تصوره، ولا يحتاج إلى تعب في تخيله.

(١) راجع البحر المحيط لأبي حيان ، ١٠/ ٢٣٠ ، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٢٩/ ٥٠-٥٢ ، وتفسير القرطبي ، ٢١/ ١٣٢-١٣٣.

وفي قوله: "غورا" عارض بالحمل على المعنى أي غائرا في الأرض ذاهبا بعيدا، من الصعب الحصول عليه، ومن المستحيل إخراجه، فالمصدر محمول على اسم الفاعل، هو على شاكلة: "هو كذب، وهو تخرص، وهو عدل"، أي كاذب، ومتخرِّصٌ، وعادلٌ، ونحوها من التعبير بالمصدر لثباته، واستمراره عن التعبير باسم الفاعل لتغيره، وانتقاله، وهو كناية عن ثبات الابتلاء، وأزلية الاختبار من الله لعباده؛ حيث لو أغار الماءَ في أطواء الأرض، وأذهبَه في طيَّاتها بعيدًا، فمن في وُسْعِهِ أن يأتِيَ به، وقد أُمِرَ أن يغيضَ،ولا يفيضَ، وأن يغورَ في زوايا الأرض، لا يخرج، ولا ينفجر، ولا يفور.

وفي قوله: "بماء معين" عارض بالحذف في متعلق شبه الجملة الذي هو حال، والتقدير:" فمن يأتيكم عاجلا وسريعا ومغيثا ومنجدا ومتعجلا بماء معين"؟.

والباء في (بماءٍ) تفيد المعية، والاستعانة، وتنكير (ماء) و(معِين) يفيدان القلة، وعدم القدرة على الاستيعاب لحاجة البشر منه، حيث إنَّ الآتي به بشر (لو تَمَّ وحصل)، وهو أسلوبٌ يفيدُ التعجيز، والتحسر، وأنّ الأصل الاعتمادُ على الله دون أحدٍ من خلقه؛ حتى لا يتعرضَ البشر للدمار، والهلاك، والضياع، والذل، والصغار، والعطش المحتوم، والموت المحقَّق.

والآية كلُّها كناية عن سعة عطاءات الله، وشامل رحمته، وكامل قيوميته.

وهنا تُرِكَ الجوابُ في نهاية السورة، فهو عارض بالحذف؛ اعتمادًا على ما سَبَقَ من جوابٍ قبلها، وفُتِحَ الجوابُ ليتفنَّن الخلقُ في الحديث عن سَعَةِ العطاء، وشمول الرحمة، وتعدُّد النعمة من الله، والجوابُ بلا شك هو:" قل هو الرحمن آمنا به، وعليه توكلنا، وهو ربنا القادر القدير المقتدر، مالك كل شيء في كونه، وهو صاحب الأمر في الإتيان بالماء أو منعه، وإماتة خلقه، أو جريانه سحاحا هاطلا، وإغاثة عباده، فالأمر له وحده سبحانه، سبحانه !"[1].

(١) راجع: إعراب القرآن للدرويش، ١٠/ ١٦٢، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ٢٩/ ٥٤-٥٦، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٥/ ٢٠٠-٢٠١، ومعاني القرآن للأخفش: جزء تبارك، ٥٤٦، والكشاف للزمخشري، ١١٢٨.

نتائج البحث

أسفر البحث في سورة الملك عن جملة من النتائج ، أذكر أهمَّها فيما يأتي:

أنّ أكثر ما في السورة من العوارض هو عارض الحذف، يليه في المرتبة عارض التقديم، ثم عارض الزيادة، ثم عارض الحمل على المعنى، أو التضمين.

أنّ أغلب دلالات عارض الحذف تكمن في العلم به، ووضوح السياق، وإنّ المتأمل لا يتوقف كثيرا عند تقديره، والحذف إنّما جاء ليطلق عنان التفكير في دلالاته، وأنّ الحذف إطلاق، وأن الذكر تقييد، وقطع للتخيل، والتصور، ولتذهب النفس في دلالاته كل مذهب، ولتتسع فيه تخيلات القراء، وتصورات التالين.

أنّ دلالات التقديم والتأخير إنّما تدور حول أهمية، وخطورة المقدَّم، والتعجيلِ به للمسرة، أو لبيانِ سرعةِ إيضاح الهلاك، وأنّ التأخير يكمن غالبًا في التشويق إلى معرفته، والتلهُّف إلى إدراكه، وأحيانًا يكون التأخير لبيان انعدام قيمة المؤخَّرِ، وقلة وزنه، واهتراءِ قدرِه، وضعفِ منزلتِه، أو للاحتقارِ، والتهكمِ، والسخرية، وأنها مؤخر لغةً، وواقعًا، وحياةً.

أنّ الحذف يكون غالبا في جملة الشرط، وفي الفعل المبني لما لم يسم فاعله، وبعد الفعل قال، وبين أداتين كالهمزة ، والواو، أو الهمزة والفاء، أو الهمزة وثُمَّ، وقد وضَّحْتُ ذلك في مَحَلِّهِ من الآيات الكريمات.

أنّ الحمل على المعنى يكشف بشكل أكبر عن طبيعة الدلالة، ويقرب المفهوم، ويبرز الحكمة، ويوضح المراد من أقرب طريق، وقد جاء قليلا في السورة الكريمة.

أنّ الروابط اللفظية في السورة أدت أداء كبيرا في الربط بين دلالاتها، والتناغم بين معانيها، وترابط خيوطها، حتى لكأنها كلها آية واحدة ذات مضمون كلي تتجمع حولها أشعة معاني كل آية ؛ لتلتحم في مشهد كلي بديع يبرز الحكمة من إيراد السورة، والغرض الكبير الذي رمت إليه.

قامت أشباهُ الجمل في السورة بقضية التماسك النصي، وجعلت وحدة النسيج الكلي للسورة واضحا لكل ذي عينين، حيث وطدت الصلة والترابط الدلالي بين أفعال وأسماء السورة في رؤية كلية بديعة، ودلالة قرآنية رفيعة، وأهداف سامية، وأغراض ضافية.

أَدَّتْ الأساليبُ اللغوية الكثيرة التي تضمنتْها السورةُ الكريمة، وما بها من ضمائرَ أحالت إلى ما قبلها، وقامت بواجب التماسك، مما أظهر الأهداف السامية لها، وكشف عن مراداتها، وكمال دلالاتها، وحكمها العوالي.

بعض التوصيات التي أسفر عنها البحث:

يوصي البحث بجملة من التوصيات يراها أتم للسورة، وأكمل في دراستها، ومنها الآتي:

- ضرورة أن تتواصل الجهود عبر دراسة ما يتعلق فيها بالسبك، ووسائله، وما وراءه من دلالات كثيرة.

- ضرورة أن تدرس من ناحية الحبك ومواضعه، تلك الدراسة التي ستبين السبب وراء ترتيب الآيات على تلك الشاكلة، وعلاقة كل آية بما قبلها، وما بعدها، وبيان أسباب الترابط الدلالي فيها.

- دراسة ما يتعلق بأثر البنية الصوتية وتشكيلة اللفظ في المعنى الذي يقف خلفه، ويرمي إليه ذلك التشكيل الصوتي، وبيان مناحي الإعجاز في إيراده على تلك الصورة.

- البحث في الروابط اللفظية، وما دته من دور ملحوظ في الترابط النصي، وبيان مناحي التماسك فيه، وبحث دلالات تلك الروابط والغوص وراء ما وردت له في منظومة لفظية متكاملة.

- دراسة أثر حروف المعاني في السورة، وما نهضت له من الكشف عن جمال القرآن

الكريم، وجلال لمعانيها، ودورها في إثراء المعاني، وتعدد دلالات النص القرآني.

- دراسة البنية الصرفية للسورة في كل ألفاظها للكشف عن طاقاتها الإبداعية، وإمكاناتها الدلالية، وإظهار الإعجاز البياني للقرآن الكريم عبرعلم الصرف، ومعطياته.

- البحث في الأساليب للغوية التي تضمنتها السورة، وأهم ما نهضت له من الكشف عن مضامينها الجليلة، ومعانيها الأصيلة، ودلالاتها الحكيمة؛ بوصفها لغة القرآن الكريم، ورصد أهم تلك الأساليب اللغوية، ودلالاتها فيها.

بعض الاقتراحات التي ارتأتها الباحثة:

ترى الباحثة أنّه يمكن النظر في الآتي كمقترح مستقبلي لمن يروم العمل في القرآن الكريم:

- أن تنهض ما يسمى بورش العمل من الباحثين المحبين للغة القرآن الكريم أن يأخذ كلٌّ منهم سورة من السور القصيرة، أو مجموعة منها ودراستها لسانيا بكل أوجه الدراسة اللسانية الحديثة.

- جمع تلك الدراسات الكبيرة وطباعتها من جهة حكومية كبيرة تقوم لها، وتسهر عليها، وتطبعها، وتعود بنسخ منها على المؤسسات العلمية الكبيرة، والتعليمية، وتنشر ملخصات لها على الشبكة الدولية للمعلومات ليفيد الناس منها، ويقفوا على وجوه الإعجاز القرآني الكبير من منظور الدراسات للغوية الحديثة، وتكون كاشفة لمن يروم العمل وفق مقتضاها، ومتطلباتها.

- نشر كل دراسة تنشأ حول القرآن الكريم، وخصوصا ما يتعلق منها باللسانيات، أو الدراسات اللسانية المعاصرة؛ لبيان قدرة لغة القرآن الكريم على استيعاب كل جديد، واحتواء كل مفيد، وأنّها لغة معطاء لا تنقضي عجائبها، ولا تخلق من الرد، وتتابع النظر، وتواصل العمل فيها، قال تعالى :"بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ"، وقال: "وَلَوْ

كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ".

هذا آخر ما ظهر لي من نتائج، وتوصيات، واقتراحات، والله الموفِّق، وهو الهادي إلى صراطٍ مستقيمٍ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

١- الأساس في التفسير تأليف سعيد حوى - رحمه الله تعالى- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، حلب الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م.

٢- إعراب القرآن وبيانه ، تأليف الأستاذ محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق بيروت، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق بيروت، ودار الإرشاد للشؤون الجامعية حمص سوري الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م.

٣- البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤ هـ ٧٥٤ هـ) بعناية الشيخ عرفات العشا حسونة ، مراجعة صدقي محمد جميل ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١٤٣١ هـ ١٥٢٣ - ٢٠١٠ م.

٤- التبيان في إعراب القرآن(يعرض لأهم وجوه القراءات ويعرب جميع آي القرآن، تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِي(ت ٦١٦ هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه بدون.

٥- تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان بن جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع- ١٤١٢هـ .

٦- تفسير التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤ م.

٧- تفسير الجلالين الميسر ، ط الحلبي ، ١٣٧٤هـ ١٩٥٤ م.

٨- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٧٦-٥٣٨ هـ) ، اعتنى به، وخرج أحاديثه، وعلق عليه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، قدم له الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، وفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين، اعتنى به تحقيقا ومقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م.

١٠- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي (الجزء الجادي والعشرون)- مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.

١١- القاموس المحيط مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف- تأليف مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي للفيروزآبادي (ت١٢٩١ هـ) ، دار الحديث القاهرة ، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد - ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨ م.

١٢- معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الصغير، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة-الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م.

١٣- معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق بن إبراهيم السَّرِي (المتوفَّى سنة ٣١١ هـ)، شرح، وتحقيق دكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

١٤- المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون.